

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة محمد بوضياف - المسيلة



جامعة محمد بوضياف - المسيلة  
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية  
قسم : التاريخ  
رقم: .....

## التواصل الثقافي بين أهل الذمة والمسلمين في كنف الخلافة العباسية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ  
تخصص: تاريخ القرون الوسطى

إعداد الطالبتين:  
\*دغيش نوار  
\*جعيجع إبتسام

مقدمة أمام لجنة المناقشة		
الصفة	المؤسسة الجامعية	اسم ولقب الاستاذ
رئيسا	جامعة محمد بوضياف-مسيلة-	د/ إسماعيل بركاتي
مشرفا ومقررا	جامعة محمد بوضياف-مسيلة-	د/ عبد الحميد عمران
ممتحنا	جامعة محمد بوضياف-مسيلة-	د/ خديجة ثلجوم

السنة الجامعية: 2017/2016

العلم مغرس كل فخر فافتخر ... واحذر يفتوتك فخر ذاك المغرس

\*\*\*

واعلم بأن العلم ليس يناله ... من همه في مطعم أو مطبخ

\*\*\*

إلا أحو العلم الذي يُعنى به ... في حالته عاريا أو مكتسي

\*\*\*

فاجعل لنفسك منه حظا وافرا ... واهجر له طيب الرقاد وعتس

\*\*\*

فلعل يوما إن حضرت بمجلس ... كنت أنت الرئيس وفخر ذاك المجلس

\*\*\*

- ديوان الإمام الشافعي -

## شُكْرٌ وَعِزٌّ

مصداقا لقوله تعالى :

﴿ وَإِذْ تَأْتِيَنَّكُمْ رِيبٌ مِنْ رَبِّكُمْ لِئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾

- سورة إبراهيم ، الآية 7-

نحمد الله عز وجل الذي وفقنا لإتمام هذا العمل المتواضع، ولولا فضل الله علينا لما وصلنا لهذا

وعلا بقوله صل الله عليه وسلم : < من لم يشكر الناس لم يشكر الله >

أما القلب أهدى، إلا أن يبوح بكلمة شكر وتقدير لأساتذتنا الكرام في مختلف الأطوار

كنتم ودمتم نعم الأساتذة

إلى أستاذنا عمران عبد الحميد الذي قدم لنا المساعدات والمعلومات وكان عوننا لنا في منكرتنا

وهنا سوف نضع كلماتنا الأخيرة إلى كل من ترك بصمة في هذه المذكرة وقدم لنا يد العون، سواء من

قريب أو من بعيد

فلكم منا أسمى عبارات الشكر والإمتنان

وأخيرا دون أن ننسى

الشكر الجزيل إلى اللجنة التي تكرمت بمناقشة هذه المذكرة

# إهداء

إلى والديّ الكريمين منبع الحكمة ومصدر قوتي في الحياة...

أمي وأبي حفظهما الله وأطال في عمرها

إلى إخوتي الأعزاء: غنية، جمال، زهرة، أيمن...

إلى كل من سعى إلى طلب العلم وجعله دربا له...

إلى كافة أساتذتي الذين تتلذت على أيديهم طوال مشواري الدراسي

إلى زميلتي في الرسالة جميع إبتسام وجميع صديقاتي

نواة دغيش

# فهرس المحتويات

رقم الصفحة	العناوين	
	الإهداءات	
	التشكرات	
5-1	مقدمة	
11-7	إنفتاح الدولة العباسية على الأمم الأخرى	مدخل
39-13	أهل الذمة في الدولة الإسلامية	الفصل الأول
13-	تعريف أهل الذمة	المبحث الأول
17	أصناف أهل الذمة	المبحث الثاني
18	أ- اليهود	
23	ب-النصارى	
26	ج-طائفة الصابئة	
28	د-طائفة المجوس	
30	حقوق و واجبات أهل الذمة في ظل الخلافة العباسية	المبحث الثالث
30	أ-حقوق أهل الذمة	
34	ب-واجبات أهل الذمة	
82-41	دور أهل الذمة في الحياة الثقافية	الفصل الثاني
44	دور أهل الذمة في العلوم العقلية	المبحث الأول
44	أ-علم الهيئة	
47	ب-الطب	
52	ج-الصيدلة	
55	د-الهندسة	
58	دور أهل الذمة في العلوم النقلية	المبحث الثاني
59	أ-الأدبية والتاريخية	
64	ب-التأليف الدينية	
68	ج-علم الكلام	
72	د-الفنون	
76	نتائج التواصل الثقافي بين أهل الذمة والدولة العباسية	المبحث الثالث
77	1- مجالات التأثير الإيجابي	
79	2- مجالات التأثير السلبي	

84	خاتمة
87	الملاحق
91	قائمة المصادر والمراجع
100	فهرس المحتويات

# مقدمة

إن ما تتميز به الحضارات عن غيرها هو قوة الأسس التي تقوم عليها وتأثيرها في بعضها البعض، والخير العميم الذي يصيب الإنسانية من قيامها، وكلما كانت الحضارة عالمية في رسالتها إنسانية في نزعتها كانت أخلد في التاريخ وأبقى على الزمن وأجدر بالتكريم، ومن أبرز خصائص حضارتنا التسامح الإسلامي الذي لم تعرفه حضارة مثلها وحسبنا أن نعرف أن حضارتنا تتفرد في التاريخ بأن الذي أقامها دين واحد ولكنها كانت للأديان جميعا وهو الأمر الذي ميز الدولة العباسية التي فسحت المجال لمختلف الأمم والشعوب وتفاعلت معهم.

وعلى هذا جاءت دراستنا بعنوان التواصل الثقافي بن أهل الذمة والمسلمين في كنف الدولة العباسية، وأخترنا الدولة العباسية نظرا لإزدهار ورواج الحياة الثقافية في الدولة العباسية، فظهر ذلك جليا في إلتقاء كثير من الأجناس والعناصر والطوائف الدينية وغير الدينية في الدولة، وهذا الخليط البشري الكبير، ذو الدماء و اللغات والعادات والتقاليد و الآراء والمذاهب المتعددة أكسب الدولة العباسية طابعا خاصا، زد على ذلك سياسة التسامح الديني التي حظي بها هؤلاء.

وعليه سنثير مجموعة من الأسئلة محاولين الإجابة عنها ما أمكن:

-ماذا نقصد بأهل الذمة، وماهي أصنافهم وأهم فرقهم؟.

-ماهي حقوق أهل الذمة، وفيما تمثلت واجباتهم؟.

-ماهي العوامل التي ساعدت على إرتقاء أهل الذمة ونيلهم مكانة مرموقة في الدولة العباسية؟.

-إلى أي مدى كانت سياسة التسامح الديني التي تمتع بها أهل الذمة عامل في إزدهار الحياة الثقافية؟.

-كيف أثروا ثقافيا على الدولة العباسية؟.

أما المنهج الذي اتبعناه، فإن طبيعة الموضوع وحدوده تعرض بالضرورة نوع المنهج، وبما أن دراستنا تاريخية فلا شك أن المنهج الذي تعاملنا معه قائم على المنهج التاريخي التحليلي كمنهج أساسي للموضوع.

ولتحقيق الهدف من هذا البحث رأينا أن نقسم بحثنا إلى فصلين يسبقهما مدخل الذي جاء تحت عنوان إنفتاح الدولة العباسية على الأمم الأخرى، تكلمنا فيه عن الدين الذي يعتبر المحرك الأساسي للأمم والشعوب وعن تطور الحضارة وإزدهارها وتكاملها رهين بمدى عالميتها وإنفتاحها وعن إزدهار الجانب الثقافي عن طريق تلاقح الثقافات المختلفة بين الحضارات، والعوامل التي أدت إلى إزدهار الثقافة الإسلامية.

أما بالنسبة للفصل الأول فعنوانه بأهل الذمة في الدولة الإسلامية إندرج تحته ثلاث مباحث عالج المبحث الأول: تعريف أهل الذمة من الناحية اللغوية والشرعية ووضح المبحث الثاني: أصناف أهل الذمة من يهود ونصارى وصائبة ومجوس وأهم فرقهم ومعتقداتهم والمناطق التي يقطنوها داخل الدولة الإسلامية وأهم الحرف التي مارسوها، في حين بين المبحث الثالث حقوق وواجبات أهل الذمة في ظل الخلافة العباسية.

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان دور أهل الذمة في الحياة الثقافية تضمن ثلاث مباحث، عالج المبحث الأول: دور أهل الذمة في العلوم العقلية في علم الفلك والطب والصيدلة والهندسة، وبين المبحث الثاني: دور أهل الذمة في العلوم النقلية من خلال كتابتهم الأدبية والتاريخية وتآليفهم الدينية وكذا في علم الكلام والفنون، فكان لهم أثر في إغناء وإثراء الدولة العباسية بمجموعة من التحف والكتب الفريدة أفادتهم في حياتهم فمنها

علوم كانوا فيه حاجة إليها فصححوها وزادوا عنها معارفهم، وهو إنجاز أهل الخلافة العباسية لأن تأخذ الدور الذهبي.

في حين وضع المبحث الثالث : نتائج التواصل الثقافي بين أهل الذمة والدولة العباسية سواء بالإيجاب أو بالسلب.

-والخاتمة كانت عبارة عن إستنتاجات، توصلنا إليها من دراستنا لهذا الموضوع.

ولدراسة هذا الموضوع استعنا بمجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

### المصادر والمراجع (عرض وتحليل):

#### أولا : كتب الفقه

1-القاضي أبو يوسف: أبو يوسف بن يعقوب بن إبراهيم الانصاري ( ت 182 هـ / 798م)، صاحب كتاب الخراج، وقد أفادنا في التعريف بالجزية وعلى من تجب.

#### ثانيا : كتب الرحلة والجغرافيا

1-يقوت الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ( ت 626هـ / 1228 م)، معجم البلدان أفادنا في تعريف بعض المناطق.

#### ثالثا : كتب التاريخ

1-المسعودي : علي بن الحسين بن علي من ذرية عبد الله بن المسعود ( ت 346 هـ / 957م)، صاحب كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر إستعملناه في الفصل الثاني في التعريف بالزندقة.

2- **إبن العبري** : أبو الفرج غريغوريوس بن أهرون بن توما الملطي ( ت 685 هـ / 1286م)، له كتاب تاريخ مختصر الدول أفادنا في الفصل الثاني في التعريف ببعض الشخصيات.

#### رابعاً : كتب التراجم والطبقات

1- **إبن أبي أصيبعة** : موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي ( ت 668هـ/1269م)، صاحب كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء يتحدث عن كبار الأطباء والمفكرين في العالم أفادنا في الفصل الثاني في التعريف ببعض الأطباء اليونان.

2- **إبن خلكان** : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ( ت 681هـ/1282م)، له كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان أفادنا في التعرف على بعض المترجمين اليونان.

#### الدراسات السابقة:

#### أولاً : المراجع العربية:

1- **عصام الدين عبد الرؤوف الفقي** : تاريخ الحضارة الإسلامية تحدث عن أهل الذمة ودورهم في الدولة الإسلامية أفادنا في الفصل الثاني من خلال كلامه عن دور أهل الذمة في الترجمة أيام المأمون.

2- **حمدي عبد المنعم** : الدولة العباسية أفادنا خاصة في الفصل الثاني لما تكلم عن المأمون وولعه بالعلم.

3- **أحمد أمين** : ضحى الإسلام وهو عبارة عن ثلاثة أجزاء ساعدنا في التعريف بعلم الكلام والمجالس والمناظرات.

4-مصطفى علم الدين : الزمن العباسي إستخدمناه في الفصل الاول والفصل الثاني في التحدث عن دور العجم في نشر العلوم داخل الدولة الإسلامية.

الصعوبات :

\*ضييق الوقت وقلة الفترة الزمانية

\*قلة المادة العلمية خاصة في المجال الثقافي لأهل الذمة هذا وإن وجدت فهي تتحدث عن المعاملات المالية بين أهل الذمة والمسلمين.

\*عدم توفر بعض المصادر في المكتبات والتي تعد من أهم المصادر الأصلية للموضوع.

\*صعوبة الوصول إلى مراجع باللغة الأجنبية.

نرجوا أن يتقبل الله منا عملنا هذا الذي نكون قد أبرزنا فيه جانباً من جوانب أهل الذمة في الدولة العباسية والله الموفق للخير والهادي إلى سبيل الرشاد.

وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف عبد الحميد عمران الذي نور هذا البحث بنصائحه وتوجيهاته القيمة كما نشكر لجنة المناقشة التي تكرمت بمناقشة هذه المذكرة.

مدخل

يعتبر الدين الإسلامي المحرك الأساسي منذ أقدم العصور للأمم والشعوب، وعامل هام في رسم حركة المجتمعات وتطورها فالأثر الذي يتركه في نفوس الأفراد يدفعهم إلى الإلتزام به في ممارستهم لحياتهم اليومية على جميع الأصعدة، وغالبا ما ألقى الدين ظلاله في الواقع السياسي عبر قيام دول وممالك على أساس ديني معين، ولطالما لجأ الحكام فيها إلى تبني دين من الأديان وحمل رعاياهم عليه إما بالحسنى أو بالإكراه<sup>1</sup>.

وانطلاقا من قاعدة توحيد الرعية والحفاظ على تماسك الدولة كان المثل الشائع (الناس على دين ملوكهم) تعبيراً عن واقع الحال في تلك الانماط من الدول والممالك، وكثيرا ما قامت العلاقات بين الدول المختلفة على أساس الانتماء الديني: تقارب بين الدول ذات الدين الواحد والعداء بين الدول المختلفة في الدين، فكان الدين الإسلامي في طبيعته خروجاً على هذه القاعدة، إذ انطلق من مبدأ القبول بالتعددية الدينية انسجاماً مع إيمانه بحرية الأفراد في الإيمان بالدين<sup>2</sup>.

شهد العالم قيام عدة حضارات مثل الحضارة الرومانية والفارسية والصينية والهندية والمصرية، إلا أنه وبمجيء الإسلام ظهرت حضارة الإسلام التي تميزت بالعالمية والانفتاح ومختلفة عن الحضارات التي قبلها.

على أن ما ذكرناه لا يتناقض بل يتماشى وينسجم مع الفكرة القائلة بأن الحضارة بما فيها نظم وأفكار ذات صبغة عالمية مرنة، وهي ليست حكراً على شعب من الشعوب بل حصيلة تجارب الشعوب، ثم إن تطور أية حضارة وازدهارها وتكاملها رهين بمقدار عالميتها وانفتاحها<sup>3</sup>.

1 - مصطفى علم الدين: الزمن العباسي، دار النهضة العربية، بيروت، 1993م، ص195.

2 - المرجع نفسه، ص195.

3 - فاروق عمر: بحوث في التاريخ العباسي، ط1، دار القلم، بيروت، 1977م، ص8.

ومما تقدم ذكره نستنتج أن حضارة الإسلام قامت على مبدأ عالمية الدين أي إيصال هذا الدين إلى كافة الأصقاع، فلم يكن مقتصر على شعب من الشعوب، وهذا سر ازدهارها (العالمية والانفتاح) وهذا ما يشير إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝﴾<sup>1</sup>.

فبعد أن حل العباسيون محل الأمويين الذين تربعوا على عرش السلطة، تركوا دمشق التي كانت حتى ذلك الوقت عاصمة الخلافة، وأسسوا بغداد، وقد أدى توسيع مجال الدولة إلى دخول عناصر أجنبية جعلت من بغداد مقر السلطة المركزية محورا تتلاقى فيه الثقافات المختلفة، وذلك بسبب تطورها وتمدنها ونشاطها العلمي والفكري<sup>2</sup>.

اتسعت الفتوحات الإسلامية في العصر العباسي وتمازجت الثقافات وانصهرت كلها في بوتقة الإسلام، واتسعت العلوم ونمت دائرة المعرفة وشجع الخلفاء العلماء والكتاب وأنشئت دور الكتب الخاصة والعامة، و فقد العلماء على دار الخلافة من كل صوب<sup>3</sup>.

وبفضل الفتوحات الإسلامية أصبحت الدولة العباسية تمتد من حدود الصين وأواسط الهند شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ومن المحيط الهندي والسودان جنوبا إلى بلاد الترك و الخزر والروم واليقالبة شمالا، وبذلك كانت تضم بين جناحيها بلاد السند وخرسان<sup>4</sup> وما وراء النهر وإيران والعراق والجزيرة العربية والشام ومصر والمغرب وهي

1- سورة الحجرات: الآية 13.

2 - مريم سلامة كار: الترجمة في العصر العباسي مدرسة حنين بن إسحق وأهميتها في الترجمة، تر: نجيب غزاوي، منشورات الثقافة، دمشق، 1998، ص9.

3 - مساعد مسلم عبد الله آل جعفر: أثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984م، ص ص، 11، 12.

4 خرسان : بلاد واسعة أو حدودها مما يلي العراق واخر حدودها مما يلي الهند، ياقوت الحموي:معجم البلدان، ج2، دار صادر، بيروت، د.ت ص350.

أوطان كثيرة، وكان يعيش فيها منذ القدم شعوب متباينة في الجنس واللغة والثقافة، وقد مضت هذه الأجناس تنصهر في الوعاء العربي حتى غدت كأنها جنس واحد<sup>1</sup>.

والثقافة العباسية خير شاهد على التفاعل الحضاري بحكم نشأتها في بيئات استفادت من التعددية الثقافية في العهود السابقة قبل الإسلام وبعده فكان للسياسة التي اتبعتها الدولة الإسلامية منذ نشأتها دور في رعايته والاستفادة منه، فعندما أطلت هذه الدولة على بلاد الروم وفارس والهند وجدت نفسها أمام شعوب ذوي حضارات تاريخية نامية وثقافات دينية وعقلية شهيرة<sup>2</sup>.

وعلى هذا الأساس وخلال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري حدثت نهضة علمية كبرى في مختلف الثقافات فترجمت العلوم اليونانية والفارسية والسريانية والهندية إلى اللغة العربية، وقد أدى إقبال الناس على تلك الثقافات إلى تأثر الحضارة الإسلامية، فالثقافة اليونانية أثرت على الحضارة الإسلامية في مجال الرياضيات والفلسفة، وأثرت على الفكر داخل الدولة العباسية عن طريق الترجمة والنقل<sup>3</sup>.

أما الثقافة الفارسية فقد أثرت على الأدب العربي شعرا ونثرا نتيجة إقبال الفرس على اللغة العربية ونقل تراث الفرس القديم في الحضارة والثقافة إلى العربية التي أكسبت اللغة العربية الكثير من العواطف والأفكار الفارسية، بالإضافة إلى أن نشأة الدولة كانت في بلاد فارس التي أما بالنسبة للثقافة الهندية فقد أثرت على الحضارة الإسلامية في الروحانيات والحساب، وكان لها تأثير كبير في التصوف الإسلامي، وقد امتزجت تلك

1 - شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العباسي الأول، ط16، دار المعارف، القاهرة، 1966م، ص89.

2 - مصطفى علم الدين: المرجع السابق، ص، 227.

3 - ناريمان صادق الألسني: الدولة العباسية في عصر المعتضد بالله، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، 1988م، ص، 397.

الثقافات مع الثقافة العربية إمتزاجاً قوياً ساعدها فيما بعد على إبداع حضارة إسلامية جديدة جعلت اللغة العربية أدواتها والإسلام أساسها<sup>1</sup>.

وبوجود هذه الثقافات احتاجت الثقافة الإسلامية إلى هضم هذه العلوم واحتواء هذه الثقافات ورفض ما كان ينافي منها العقيدة الإسلامية ويشكك أبنائها والاستفادة من أساليبها في فلسفة الأفكار إلى أن نضجت العلوم الإسلامية نضجاً لم تتركه ثقافة قبلها ولم يتهيأ لثقافة بعدها<sup>2</sup>.

وهناك ظواهر اجتماعية ظهرت في الدولة الإسلامية في العصر العباسي تختلف عن سابقتها في العصور الإسلامية حيث كانت الحركة العباسية متبنية لمسألة مساواة الموالى<sup>3</sup> مع العرب في الحقوق والواجبات جميعها، وهذا أعطى غير العرب من المسلمين حرية أكثر في النشاط العلمي والسياسي والاجتماعي كثر انضمام غير العرب إلى الإسلام وإيمانهم به، ولما كان كل جنس من الاجناس التي دخلت الإسلام يحمل ثقافة قومه امتزجت الثقافات في بوتقة الإسلام وأعطت كل واحدة للأخرى خيرات جديدة استفادت منها الثقافة الإسلامية لأنها أصبحت نهر تصب فيه جميع الروافد<sup>4</sup>.

ويمكن إيجاز عوامل إزدهار الثقافة الإسلامية في العناصر التالية:

- 1- حرية الرأي العلمي فلم يتعرض عالم لمحنة بسبب رأيه العلمي.
- 2- تشجيع الأمراء للعلم فبذلوا المال على الأمراء والشعراء.

1 - ناريمان صادق الألسي، المرجع السابق، ص 397.

2 - مساعد عبد الله آل جعفر: المرجع السابق، ص 26.

3 - الموالى: سمي العجم موالى لأن بلادهم فتحت عنوة بأيدي العرب والموالى هم المعتقون، أحمد أمين: فجر الإسلام، ط10، دار الكتاب العربي، بيروت، 1969م، ص 89.

4 - مساعد مسلم عبد الله آل جعفر: المرجع السابق، ص 32.

- 3- تنافس الوزراء في حب العلم وتقريب العلماء<sup>1</sup>.
  - 4- تغلغل العرب داخل الشعوب بفضل معاملتهم الطيبة التي تميزوا بها عن غيرهم<sup>2</sup>.
  - 5- تسامح الإسلام مع مختلف الأديان المخالفة لهم<sup>3</sup>.
- وبذلك استطاع الإسلام بتعاليمه السمحة أن يحدث امتزاجاً قوياً بين العناصر المختلفة التي كانت تتألف منها الدولة العربية وهو امتزاج لم يبلغه بامتلاك الأرض المفتوحة إنما بلغه بامتلاك القلوب.

فبسبب فتح العرب لهذه الممالك حدث مزج قوي بين الأمة الفاتحة والامم المفتوحة:

- 1- تعاليم الإسلام في الفتح.
  - 2- اعتناق الكثير من أهل البلاد المفتوحة الإسلام.
  - 3- الاختلاط بين العرب وغيرهم في سكنى البلاد<sup>4</sup>.
- وعلى هذا نخلص إلى القول أن الدولة العباسية ورثت الخلافة الإسلامية من الأمويين في المشرق، فظهرت على الساحة السياسية، واتسعت الرقعة الجغرافية بفضل الفتوحات الإسلامية الواسعة وعرفت بفضل الانفتاح واستيعاب الأمم الأخرى تمازجاً فكرياً أهلها أن تنتج عصراً ذهبياً.

1 - ناريمان صادق الالشي: المرجع السابق، ص، 398.

2 - زيغريد هونكه: شمس العرب على الغرب ( أثر الحضارة العربية في أوروبا )، تر: فاروق ببيضون، وكمال دسوقي، ط8، دار الجيل، بيروت، 1993م، ص358.

3 - حسن الممي: أهل الذمة في الحضارة الإسلامية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص، 123.

4 - أحمد أمين: فجر الإسلام، المرجع السابق، ص85.

# الفصل الأول

## أهل الازمة في الدولة العباسية

1- المبحث الأول: تعريف أهل الازمة.

2- المبحث الثاني: اصناف أهل الازمة.

3- المبحث الثالث: حقوق وواجبات أهل الازمة

في ظل اخلافة العباسية.

## المبحث الأول: تعريف أهل الذمة

### 1- الذمة في اللغة:

تعيش المجتمع الإسلامي مع العديد من معتقي الديانات مثل اليهود والنصارى والمجوس والصابئة والسامرة الذين أطلق عليهم اسم أهل الذمة. ويعرف أهل الذمة لغوياً: بمعنى العهد والامان والضمان والحرمة والحق، وسمي أهل الذمة ذمة لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم. فالذمة هي الامان ولهذا سمي المّعاهد ذمياً لأنه أعطى الأمان على ذمة الجزية التي تؤخذ منه<sup>1</sup>.

### 2- الذمة إصطلاحاً:

وأهل الذمة هم المستوطنون في بلاد الإسلام من غير المسلمين وسموا بهذا الاسم لأنهم كانوا يدفعون الجزية فأمنوا على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم وأصبحوا في ذمة المسلمين<sup>2</sup>.

أما في الفقه الإسلامي فيطلق على من يجوز عقد الذمة وهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، كما أعتبر المجوس أهل ذمة وكانوا يدفعون الجزية، وقد حدد الإسلام موقفه بشكل واضح من أهل الذمة فيما يتعلق بالدعوة إلى الإسلام سواء كانت هذه الدعوة موجهة إلى الناس كافة أو إلى أهل الكتاب بشكل خاص، فقد أمر الله سبحانه تعالى الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أن تكون الدعوة طيبة تخاطب

1 - ابن المنصور: لسان العرب، مج 12، بد، ط، دار صادر، بيروت، د:ت، ص ص، 221، 222.

2 - نادية حسني صقر " مطلع العصر العباسي ( الاتجاهات السياسية والحضارية في خلافة المتوكل على الله)، ط1، دار الشروق، السعودية، 1983م، ص، 163.

الناس في رفق لمحاولة إقناعهم أن لا إكراه فيها ولا تهديد وأن يكون حوارهم مع أهل الكتاب هادئاً ولا يجادلونهم إلا بالتي هي أحسن<sup>1</sup>.

ظهر مصطلح أهل الذمة في الفترة الأولى للدولة الإسلامية للدلالة على التجمعات الدينية التي رضيت بسلطة المسلمين عليها على أساس عهود وقعها لهم الحكام المسلمون لتنظيم علاقتهم بالدولة، وكان هذا التعبير منذ نشأته يشمل مجموعتين مختلفتين ومتناقضتين من أتباع الديانات السماوية: اليهود والنصارى<sup>2</sup>.

ولما تم للعرب من المسلمين فتح الأمصار رحب بهم أهل الذمة، فقد أملوا في الخلاص من ظلم حكامهم، والاعفاء من الخدمة العسكرية والتمتع بالحرية الدينية التي يسمح بها الإسلام مقابل دفع الجزية<sup>3</sup>.

وكانت تقاليد الإسلام تقضي بأنه إذا أراد المسلمون غزو إقليم وجب عليهم أن يطلبوا من أهله اعتناق الإسلام فمن استجاب منهم طبقت عليه أحكام المسلمين، ومن امتنع فرضت عليه الجزية<sup>4</sup> كقوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾<sup>5</sup>.

ومن خلال هذه التعاليم الربانية دعا العرب المسلمون أهل الذمة إلى الإسلام، وأعلنوا أن المحارب إذا سلم يصبح له ما للمسلمين، وعليه ما عليهم، ولذا دخل في

1 - قاسم عبدة قاسم: أهل الذمة في مصر العصور الوسطى، دار المعارف، القاهرة، 1972م، ص 23، ص 24.

2- مصطفى علم الدين: المرجع السابق، ص، 197.

3 - علي حسن الخربوطلي: الإسلام وأهل الذمة، المجلس الوطني للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1969م، ص 65، 66.

4 - علي حسن الخربوطلي: المرجع السابق، ص، 65.

5 - سورة التوبة: الآية 29.

الإسلام جموع هائلة من أهل الذمة وآمن بعضهم أن توفيق العرب المسلمين في الفتوحات هو مظهر من مظاهر رضى الله عليهم ودليل على صدق دينهم، وأما من بقي من أهل الذمة على دينه فقد عاملهم العرب بتسامح عظيم باعتبارهم أهل الكتاب وكانت كتب الصلح مرآة صافية انعكست عليها صور كثيرة لتسامح المسلمين<sup>1</sup>.

ومن حسن تعامل المسلمين الفاتحين وتسامحهم مع أصحاب البلاد المفتوحة و الديانات المخالفة أن لا إكراه في الدين هذا ما أمر به القرآن الكريم، وبناء على ذلك فإن العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام، فالمسيحيون<sup>2</sup> والزرادشتيون<sup>3</sup> واليهود<sup>4</sup> والذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الديني وافظوها، سمح لهم جميعا بممارسة شعائر دينهم دون أن يمسه بأدنى أذى، ما داموا يؤدون ضريبة الراس ويطيعون حكامهم<sup>5</sup>.

وعليه فإن الدولة الإسلامية ضمنت لاتباع الديانات المخالفة للإسلام حرية في ممارسة شعائرهم الدينية، فلم تفرض عليهم بالإكراه أو الغصب الدخول في الإسلام بل أعطتهم حرية في ذلك، فعاشوا ضمن المجتمع الإسلامي تحيطهم الرعاية والحماية شرط دفع الجزية المتفق عليها.

1 - علي حسن الخربوطلي: المرجع السابق، ص 66.

2 - المسيحيون: نسبة إلى المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام، وقيل سمي بذلك لصدقه وقيل سمي به لأنه كان سائحا في الأرض لا يستقر، وقيل سمي بذلك لأنه كان يمسح بيده على العليل والأكمة والابصر فيبرئهم باذن الله، ابن المنظور: لسان العرب، مج2، دار صادر، بيروت، د:ت، ص 594.

3 - الزرادشتيون: نسبة إلى زرادشت بن سقيمان الذي ظهر في عهد الملك بتشاسب وأدعى النبوة وصنف كتابا وزعم أنه لغة سماوية خوطب بها وسماه إشتا، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج1، ط1، دار الكتاب، بيروت، 1987م، ص 197.

4 - اليهود: اختلف بعض المؤرخين في نسب اليهود وتسميتهم إلى أن نسب اليهود يرجع إلى يهوذا أحد أسباط النبي يعقوب عليه السلام، شاكر محمود بدير: اليهود في الادب العباسي - نماذج مختارة - أطروحة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2014م، ص، 8.

5 - زيغريد هونكه: المرجع السابق، ص، 364.

## الجزية:

وهكذا فقد كانت الجزية هي الشرط الاساسي لبقاء أهل الذمة في ديار الإسلام تحت حماية المسلمين والأصل في وجوب الجزية هو النص القرآني الكريم.

أما الاشتقاق اللغوي لكلمة الجزية: فهو من الجزاء بمعنى أنهم يدفعونها إما جزاء على كفرهم وإما جزاء تأمينهم في ديار المسلمين والإسلام وحمايتهم والدفاع عنهم ببذل الجزية من جهتهم<sup>1</sup>.

فرضت الشريعة الإسلامية على أهل الذمة دفع الجزية ولم يكن ذلك كما يذكر بعض المستشرقين عقاباً لهم على عدم اعتناقهم الإسلام، بل كانت الجزية ضريبة عادلة تماماً في كل صورها وقد تمتع أهل الذمة بكثير من الحقوق وعاشوا في ظل التسامح الإسلامي، ولذا كان على الذمي أن يؤدي ضريبة أخرى إذا كان معفى من تأدية الزكاة لأنه غير مسلم، كما كان الذمي معفى أيضاً من أداء الخدمة العسكرية، ويتمتع بحماية المسلمين وتسامحهم، ويمارس سائر الأعمال والوظائف في حرية<sup>2</sup>.

كانت الجزية من أهم مصادر بيت المال وموارده، وهي تؤخذ من أهل الذمة، تجمع من الرجال القادرين على حمل السلاح بعد أن وزعت عليهم بنسب مختلفة فيدفع الفقير 12 درهماً في السنة والمتوسط الحال 24 درهماً في السنة والثري 48 درهماً في السنة وقد تشدد الإسلام في جبايتها<sup>3</sup>.

1 - قاسم عبدة قاسم: أهل الذمة في مصر العصور الوسطى، ص، 26.

2 - علي حسن الخربوطلي: المرجع السابق، ص ص، 67، 68.

3 - إبراهيم أيوب: التاريخ السياسي والحضاري، ط1، دار الكتاب العالمي، بيروت 1989م، ص، 238.

وتجمع الجزية مرة وحدة كل سنة بالشهور الهلالية، وكان يسمح بدفع الجزية نقداً أو عينا أي تقدم مما أحله الإسلام، بدلا من الجزية، وكانت الدولة الإسلامية كثيرا ما تؤخر موعد تأدية الجزية حتى تنتزع المحصولات الزراعية فيستطيع أهل الذمة تأديتها دون ان يرهقهم ذلك وهذا كله وفقا بهم ومثال ذلك لما قدم أحد عمال عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأموال الجزية فوجدها عمر كثيرة فقال لعامله: (( إنني لأظنكم قد أهلكتم الناس؟ فقال: لا، والله ما أخذنا إلا عفوا صفوا، فقال عمر: بلا سوط ولا نوط؟ فقال: نعم، فقال عمر: الحمد لله الذي لم يجعل ذلك على يدي ولا في سلطاني<sup>1</sup>.

وتجب الجزية على الرجال دون النساء والصبيان ولا تؤخذ من مسكين ولا من أعمى ولا من لا حرفة ولا عمل ولا من مقعد ليس له مال ولا من راهب ولا شيخ كبير لا يستطيع العمل وليس له مال<sup>2</sup>.

### المبحث الثاني: أصناف أهل الذمة

نادى الإسلام بقوة إلى هدم الفوارق العصبية للقبائل والفوارق الجنسية للشعوب حتى يسود الوئام بين افراد الامة الإسلامية، فلا عدناني، ولا قحطاني، ولا عربي ولا أعجمي، إنما هي أمة واحدة يتساوى أفرادها في جميع الحقوق<sup>3</sup>.

فكان أكبر فرق بين الدولة الإسلامية وبين أوروبا التي كانت كلها على المسيحية في العصور الوسطى وجود عدد هائل من أهل الديانات الأخرى بين المسلمين و أولئك هم أهل الذمة الذين استندوا إلى ما كان بينهم وبين المسلمين من

1 - علي حسن الخربوطلي: المرجع السابق، ص ص، 70، 71.

2 - سليم أبو طالب سليم: أثر المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية على الفكر الإسلامي في الدولة العباسية، ط1، مطبعة الاشعاع الفنية، الاسكندرية، 1999م، ص، 211.

3 - شوقي ضيف: المرجع السابق، ص، 74.

عهود وما نحوه من حقوق مما أوجد نوعاً من التسامح الذي لم يكن معروفاً في أوروبا في العصور الوسطى<sup>1</sup>.

وليس من شك في اعتراف المسلمين بكيان هذه الطبقة بعد أن اشترطوا عليها التجرد من السلاح وتأدية الجزية مقابل الحماية الإسلامية<sup>2</sup>.

وقد أشار القرآن الكريم إلى طوائف أهل الذمة وحدد طبيعة معاملتهم وعلاقتهم بالمسلمين في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾<sup>3</sup>.

يندرج تحت أهل الذمة النصارى واليهود والصابئة والمجوس والسامرة وقد عاشت هذه الفئات متجاورة مع المسلمين.

### أولاً: اليهود

هاد الرجل أي رجع وتاب، وإنما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام ﴿... إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ... ﴾<sup>4</sup>، أي رجعنا وتضرعنا وهم أمة موسى عليه السلام وكتابهم التوراة وهو أول كتاب نزل من السماء<sup>5</sup>.

والهود اليهود هادوا تهدون هوداً وسميت اليهود اشتقاقاً من هادوا أي تابوا، والتهود أي يصير الإنسان يهودياً<sup>1</sup>.

1 - آدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج1، تر: محمد عبد الهادي أبو زيد، ط5، دار الكتاب العربي، بيروت، دنت، ص75.

2 - فليب حتى: العرب تاريخ موجز، ب.د.ط، دار العلم، بيروت، 1991م، ص، 104.

3 - سورة الحج: الآية 17.

4 - سورة الأعراف: الآية 156.

5 - الشهرستاني: الملل والنحل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ص، 231.

وقيل أن نسبة اليهود إلى يهودا بن يعقوب عليه السلام لأنهم كانوا يتهودون أي يتحركون عند قراءة القرآن<sup>2</sup>.

فكان أهم منبع للثقافة اليهودية التوراة وكلمة التوراة يستعملها المسلمون كثيرا للدلالة على كل الكتب المقدسة عند اليهود، وبجانب ذلك كانت لهم سنن ونصائح وشروح، لم تنتقل عن موسى عليه السلام كتابة وإنما تداول نقلها شفاها ونمت على تعاقب الأجيال ثم دونت بعدها وهذا هو المسمى بالتلمود<sup>3</sup>.<sup>4</sup>

وافترق اليهود على خمس فرق وهم:

### 1- السامرية:

وهم يقولون أن مدينة القدس هي نابلس<sup>5</sup> ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس ولا يعظمونه، ولهم تورا غير التوراة التي بأيدي سائر اليهود، ويبطلون كل نبوة كانت في بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام ولا يقرون بالبعث وهم بالشام لا يستحلون الخروج عنها<sup>6</sup>، يتقشفون في الطهارة أكثر من تقشف سائر اليهود، وقالوا أن التوراة ما بشرت إلا بنبي واحد يأتي من بعد موسى عليه السلام، يصدق ما بين يديه من التوراة يحكم بحكمها ولا يخالفها البتة، وافترقت السامرية إلى دوستانية وهم الألفانية

1 - ابن المنظور: لسان العرب، مج3، دار صادر، بيروت، د:ت، ص 439.

2 - بناز اسماعيل عدو: أهل الذمة في بلاد الكرد في العصر العباسي، ط1، مؤسسة موكرناني للبحوث، 2011م، ص، 48.

3 - التلمود: هو مجموعة من المناقشات الدينية الأولى مع شروح لرجال الدين من الأجيال المتعاقبة فيه القوانين اليهودية من قانون عقوبات وقوانين مدنية وبعبارة أخرى فيه تحديد العلاقات الدينية والدينية يسجل أفكار اليهود في حياتهم وتقاليدهم، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م، ص، 347.

4 - أحمد أمين: المرجع نفسه، ص، 345، 346.

5 - نابلس: وهي مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين مستطيلة لا عرض لها كثرة المياه لأنها لصيقة بالجبل أرضها حجر بينها وبين المقدس عشرة فراسخ، يقوت الحموي: معجم بلدان، ص 248.

6 - ابن حزم: الفصل في الملل والاهواء والنحل، ج1، مكتبة السلام العالمية، د:ت، ص، 82.

وإلى كوسانية والدوستانية معناها الفرقة المتفرقة الكاذبة والكوسانية معناها الجماعة الصادقة وهم يقرون بالأخرة والثواب والعقاب، أما الدوستانية فتزعم أن الثواب والعقاب في الدنيا<sup>1</sup>.

وقبله السامرة جبل يُقال له ( كزيرم ) بين بيت المقدس ونابلس والسامرة توجهوا إلى تلك القبلة دون سائر اليهود ولغتهم غير لغة اليهود، وزعموا أن التوراة كانت بلسانهم وهي قريبة من العبرانية فنقلت إلى السريانية<sup>2</sup>.

## 2-العنانية:

وهم أصحاب عانان الداودي اليهودي وعرفوا عند اليهود بالقرائين وهم لا يتعدون شرائع التوراة وما جاء من كتب الأنبياء وهذه الفرقة تتواجد في العراق والشام<sup>3</sup>.

يخالفون سائر اليهود في السبت والأعياد ويقتصرون على أكل الطير والظباء والسمك ويذبحون الحيوان على القفا، ويصدقون عيسى عليه السلام في مواعظه وإرشاداته ويقولون أنه لم يخالف التوراة بته بل قررها ودعا الناس إليها، وهو من نبي إسرائيل المتعبدين بالتوراة، من هؤلاء من يقول إن عيسى عليه السلام لم يدع أنه بني مرسل بل هو من أولياء الله المخلصين العارفين أحكام التوراة والإنجيل ليس كتاباً منزلاً عليه، ووحياً من الله تعالى بل هو جمع أحواله من مبدئه إلى كماله وإنما

1 -الشهرستاني: المرجع السابق، ص ص، 242، 243.

2 -الشهرستاني: المرجع نفسه، ص ص، 243، 244.

3 -بناز اسماعيل عدو: المرجع السابق، ص 51.

معه أربعة من أصحابه الحواريين قالوا واليهود ظلموه حيث كذبوه أولاً ولم يعرفوا بعد دعواه وقتلوه أخراً<sup>1</sup>.

### 3-الصدوقية:

ونسبوا إلى رجل يقال له صدوق وهم يقولون من بين سائر اليهود أن العزيز هو ابن الله وكانوا بجهة اليمن<sup>2</sup>.

### 4-الربانية:

وهم القائلون بأقوال الأحرار ومذاهبهم وهم جمهور اليهود<sup>3</sup>، ويؤمنون بأن الله تعالى بعث موسى بالحق وكذلك يعظمون كتاب التوراة<sup>4</sup>.

### 5-الييسوية:

وهم أصحاب أبي عيسى الأصفهاني رجل من اليهود كان بأصبهان وهم يقولون بنبوة عيسى بن مريم و محمد صل الله عليه وسلم ويقولون أن عيسى بعثه الله عزوجل إلى بني إسرائيل على ما جاء في الإنجيل، وأنه أحد أنبياء بني إسرائيل<sup>5</sup>.

وزعم أبو عيسى أنه نبي وأنه رسول المسيح المنتظر، وأن الله تعالى كلمه وكلفه أن يخلص بني إسرائيل من أيدي الأمم العاصين والملوك الظالمين وقال أن المسيح أفضل ولد آدم وأنه أعلى منزلة من الأنبياء الماضيين، وإذا هو رسول فهو أفضل الكل أيضاً، وكان يوجب تصديق المسيح ويعظم دعوة الداعي، وحرّم كتابه

1 - الشهرستاني: المصدر السابق، ص 238.

2 -إبن حزم: المصدر السابق، ص، 82.

3 - إبن حزم: المصدر السابق، ص 82.

4 - بناز اسماعيل عدو: المرجع السابق، ص، 51.

5 -إبن حزم: المصدر السابق، ص 82.

الذبايح كلها ونهي أكل ذي روح على الاطلاق طيرا كان أم بهيمة وأوجب عشر صلوات، وأمر أصحابه بإقامتها وخالف اليهود في كثير من أحكام الشريعة الكبيرة المذكورة في التوراة<sup>1</sup>.

ورغم قلة عدد اليهود فقد تمتعوا في العصر العباسي بالحرية في نشاطهم الاقتصادي، وكانوا يتبعون رئيسهم الروحي رأس الجالوت<sup>2</sup> ويخضعون لنظمهم الدينية وكان الوساطة بين الدولة وبين اليهود حين يؤدون الضرائب وكان لليهود تجمع كبير في بغداد<sup>3</sup>.

إضافة إلى بغداد إنتشر اليهود على نهر دجلة والفرات وواسط والحلة والكوفة والبصرة وفي كثير من بلاد فارس في همذان وأصفهان وسمرقند، وكان في فارس بلدتان تسمى كل منهما اليهودية إحداهما بجرجان والأخرى بأصفهان<sup>4</sup>. (أنظر الخريطة رقم 01 توضح مناطق تواجد اليهود في الدولة العباسية).

إحترف اليهود صناعات عديدة فمنهم الصباغون والديباغون والقصابون<sup>5</sup> وعليه فقد تمتع اليهود بكثير من الحرية الدينية فأقاموا الشعائر الدينية في أمن وشاركوا المسلمين في ممارسة المهن الحرة، فلم تتدخل الدولة ولا الحلفاء في شؤونهم الدينية إلا في بعض الفترات<sup>6</sup>.

1 - الشهرستاني: المصدر السابق، ص ص، 239، 240.

<sup>2</sup> رأس الجالوت: رئيس الجالية الضين جلو عن أوطانهم بيت المقدس عام 586 ق.م، سمير طبي: دور أهل الذمة في الدولة الإسلامية في العصر العباسي، مذكر ماجيستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2007م، ص 08.

3 - نادية حسني صقر: المرجع السابق، 164.

4 - أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج 1، ص، 343.

5 - شوقي ضيف: المرجع السابق، ص، 96.

6 - أمينة بيطار: تاريخ العصر العباسي، ط4، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 1997م، ص، 253.

ثانياً: النصارى

والنصارى كلمة مأخوذة من قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾<sup>1</sup> لتناصرهم فيما بينهم ويقال لهم أنصار لأنهم نزلوا أرضاً يقال لها ناصرة، كما أنها تطلق على أتباع عيسى عليه السلام.<sup>2</sup>

والنصارى أمة المسيح ابن مريم عليه السلام وهو المبعوث حقاً بعد موسى عليه السلام المبشر به في التوراة، وكانت له آيات ظاهرة مثل إحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص وفطرته أية كاملة على صدقه وجميع الأنبياء بلاغ وحيهم أربعون سنة وقد أوحى إليه إبلاغا عند الثلاثين وكانت مدة دعوته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام.<sup>3</sup>

أهم الفرق النصرانية داخل حدود الدولة العباسية

والنصارى بدورهم إفترقوا إلى إثنين وسبعين فرقة، وكبار فرقهم ثلاثة الملكائية والسنطورية واليعقوبية.

1- الملكائية:

أصحاب ملكا الذي ظهر بالروم وأستولى عليها ومعظم الروم ملكائية، قالوا أن الكلمة إتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته و يعنون بالكلمة أقنوم العلم ويعنون بروح القدس أقنوم الحياة، فقال بعضهم إن الكلمة مازجت جسد المسيح كما يمازج

1 - سورة آل عمران: الآية 52.

2 - بناز إسماعيل عدو: المرجع السابق، ص، 54.

3 - الشهر ستاني: المصدر السابق، ص، 244، 245.

الخير اللبن أو الماء، وصرحت الملكائية بأن الجوهر غير الأقانيم، وعن هذا صرحوا بإثبات التثليث، وقالت الملكائية المسيح ناسوت كلي لا جزئي، ولقد ولدت مريم عليها السلام إليها أزليا والقتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت وأطلقوا لفظ الأبوة والنبوة على الله عزوجل وعلى المسيح<sup>1</sup>.

وقولهم أن الله تعالى عبارة عن ثلاثة أب وابن وروح القدس، وأن عيسى عليه السلام إله تام كله وإنسان، وأن الإنسان منه هو الذي صُلب وقُتل وأن الإله منه لم ينله شئ من ذلك، وأن مريم عليها السلام ولدت الإله والإنسان<sup>2</sup>.

## 2- السنطورية:

أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه وقال أن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة الوجود والعلم والحياة وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات ولاهي هو وأتحدث الكلمة بجسد عيسى عليه السلام لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكائية ولا على طريق الظهورية كما قالت اليعقوبية ولكن كإشراق الشمس في كوة أو على بلور<sup>3</sup>.

أما بالنسبة لقولهم في القتل والصلب فيخالف قول الملكائية واليعقوبية وأهل هذه الفرقة منتشرون بكثرة في الجزيرة والموصل وتكريت والحيرة وفارس<sup>4</sup>.

1 - الشهر ستاني، المصدر السابق، ص، 247، 249.

2 - ابن حزم: المصدر السابق، ص، 48.

3 - الشهرستاني: المصدر السابق، ص، 252.

4 - بناز إسماعيل: المرجع السابق، ص، 55.

3-اليقوبية:

ينسبون إلى يعقوب البرذعاني وكان راهبا بالقسطنطينية، وهم يعتقدون أن المسيح هو الله تعالى نفسه، وأن الله تعالى عن عظيم كفرهم مات وصلب وقتل، وأن العالم بقي ثلاثة أيام بلا مدبر والفلك بلا مدبر ثم قام ورجع كما كان، وأنه تعالى هو كان في بطن مريم عليها السلام محمولا به، وانتشرت هذه الفرقة في أعمال مصر وجميع النوبة والحبشة<sup>1</sup> وكذا في غسان وسائر قبائل الشام ولهم صوامع في وادي القرى<sup>2</sup>.

ولا بد من الإشارة إلى أن النصارى كان ثقلهم في إقليم الجزيرة العربية حيث تمركزا في مدينة الرها<sup>3</sup> التي تعد من أهم مراكزهم وفيها أعداد كثيرة من الأديرة والكنائس يتجاوز عددها ثلاثمائة كنيسة ودير<sup>4</sup>. وشارك النصارى في الحياة اليومية فكانوا ينهضون بالصناعات المربحة مندمجين في حياة الخلفاء والرعية، فمن النصارى كتاب السلاطين وأطباء الأشراف والعطارون والصيارفة<sup>5</sup>. (انظر الخريطة رقم 02 توضح مناطق تواجد النصارى في الدولة العباسية).

1 - ابن حزم: المصدر السابق، ص، 48.

2 - أحمد أمين: فجر الإسلام، ص، 25.

<sup>3</sup> الرها: مدينة بالجزيرة العربية بين الموصل والشام تعد من أقدم المدارس السريانية النسطورية التي كان يعلم فيها اللاهوت، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، دار الصادر بيروت، د.ت، ص106.

4 - بناز إسماعيل عدو: المرجع السابق، ص، 59.

5 - شوقي ضيف: المرجع السابق، ص، 96.

### ثالثاً: طائفة الصابئة

الصابئون جمع صابئاً وهو من إنتقل إلى دين آخر، وكل خارج من دين كان عليه إلى آخر غيره سمي صابئاً، وفي اللغة صبا الرجل إذ مال وزاغ وبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم الصابئة<sup>1</sup>.

وهم يزعمون أنهم أتباع نوح عليه السلام وأطلق الاسم أي الصابئة على من أسلم في زمن النبي محمد صل الله عليه وسلم، ووردت تسمية الصابئة بمدلولها الديني في القرآن الكريم<sup>2</sup> حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾<sup>3</sup>.

ونظراً لتركز الصابئة في حران فإنها سميت مدينة الصابئة وبها تل عظيم عليه صلى الصابئين يعظمونه وينسبونه إلى النبي إبراهيم عليه السلام، وقيل أنهم طائفة سامية قديمة ظهرت قبل اليهود والنصارى أو إنهم قوم بين اليهود والمجوس أو النصارى والمجوس وكذلك يقال لهم الحرانية نسبة إلى مدينة حران<sup>4</sup>.

وعلى هذا اختلفت الآراء عن صابئة الحرانية وصابئة البطائح فالصابئة الحرانية هم معروفون بعبادة الكواكب ومجراهم مجرى عبدة الأوثان في تحريم المناكحة والذبائح وليست لهم صلة بالصابئة الذين ذكروهم القرآن الكريم، إلا أن صابئة البطائح يبدو أن دينهم كان مزيجاً من ديانة النصارى وبعض العبادات البابلية القديمة<sup>5</sup>.

1- الشهرستاني: المصدر السابق، ص ص، 258، 289.

2- بناز إسماعيل عدو: المرجع السابق، ص، 63.

3- سورة الحج: الآية 17.

4- بناز إسماعيل عدو: المرجع السابق، ص، 63.

5- المرجع نفسه، ص، 64.

ويتضح أن حران كانت الموطن الأصلي للصابئة المندائية الذين إنحدروا من حران إلى الجبال الميمنية ثم توسطوا ميان و البطائح بعد هجرتهم الأولى من فلسطين<sup>1</sup>.

وعلى هذا الأساس يبدو أن هاتين الطائفتين ( الحرانية و المندائية ) شريكان فيما بينهما، فضلا عن أن صابئة حران هم السكان الأصليون فإنهم كانوا يسمون بالحرانيين الذين كانوا قد تأثروا وتفاعلوا بالمعتقدات المجاورة لاسيما مدرستي الرها و حران اللتين كانتا مركزين للنشاط الفكري الإغريقي<sup>2</sup>.

و عبد الصابئة الشمس أو القمر أو الكواكب جملة أو بعض الكواكب خصوصا ومنهم الذين عبدوا الملائكة وسموها بنات الله<sup>3</sup>.

كان صابئة حران يؤمنون بالله ولكنهم يعظمون الكواكب والملائكة ويصلون ثلاث مرات في اليوم، وقيل أنهم يصلون للكعبة خمس صلوات ويصومون ثلاثين يوما ويحرمون الميتة والدم ولحم الخنزير، وأخذوا من كل دين شيئا، إضافة إلى الرها تركز الصابئة في بلاد ما بين النهرين وأعالي الفرات<sup>4</sup>.

ولما كان هؤلاء أقليات ضئيلة ليس لهم تأثير فعال في المجتمع، يعيشون في شبه عزلة يحتفظون بتعاليم عقائدهم السرية ولا يختلطون بغيرهم، ولا يصاهرون مخاليفهم في الدين فقد ناهضهم المسلمون العداء بسبب تعاليمهم المنافية للشرع

1- بناز إسماعيل عدو، المرجع السابق، ص، 65.

2- نياز إسماعيل عدو: المرجع نفسه، ص، 66.

3- البغدادي: الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ص، 353.

4- نياز إسماعيل عدو: المرجع السابق، ص، 68.

والأخلاق ومع هذا فقد سمح لهم بمباشرة أعمالهم الحرة فبرع الصابئة في بعض الصناعات كالنقش على الفضة ونبغ منهم أطباء<sup>1</sup>.

إلا أنهم تمتعوا بالحرية الدينية فكانوا يرتدون ملابسهم الخاصة ويطلقون شعورهم<sup>2</sup>(انظر للخريطة رقم 03 توضح مناطق تواجد الصابئة في الدولة العباسية).

#### رابعاً: طائفة المجوس

المجوس كلمة فارسية وهم أمة من الناس لهم نحلة خاصة يعبدون النار<sup>3</sup>، وقيل المجوس في الأصل النجوس لتدينهم بإستعمال النجاسات، والمجوس من أقدم الطوائف وأصلهم من بلاد فارس، وقد نبغوا في علم النجوم<sup>4</sup>.

وأختلفت الآراء حول معنى كلمة المجوس وهي تعني عبدة النار، وهي كلمة فارسية أطلقت عليهم منذ القرن الثالث للميلاد وكانوا يعبدون الشمس والنار معاً<sup>5</sup>.

وبما أنهم عبدة نيران قالوا أن للعالم أصلين نور وظلمة<sup>6</sup> ويعتقدون كذلك أن هناك قوتين الخير والشر، وأن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلام أي أن دينهم ومذهبهم يعتمد بشكل كلي حول هاتين القاعدتين<sup>7</sup>.

1- إبراهيم أيوب: المرجع السابق، ص، 253.

2-نادية حسني صقر: المرجع السابق، ص، 164.

3- عطية فياض: فقه المعاملات المالية مع أهل الذمة، دراسة فقهية مقارنة، ط1، دار النشر للجامعات، القاهرة، 1999م، ص، 19.

4- الشهرستاني: المصدر السابق، ص، 257.

5- بناز إسماعيل عدو: المرجع السابق، ص، 68.

6- الشهرستاني: المصدر السابق، ص، 257.

7- بناز إسماعيل عدو: المرجع السابق، ص، 68.

ولقد جاء ذكرهم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾<sup>1</sup>.

ومن المعروف أن جمهور الفرس قبل الإسلام كانوا مجوسا على دين زارذشت الذي ظهر في ديارهم حوالي منتصف القرن السابع قبل الميلاد وما وضعه لهم من تعاليم ضمنها كتابه الأفيستا، وفيه زعم أن للعالم إلهين هما (أهورامزد) إله النور خالق كل خير و (أهرمن) إله الظلمة خالق كل شر، وأن وراء الحياة الدنيا حياة أخرى يكون فيها حساب الشخص على أعماله، فإما النعيم، وإما الجحيم، وأن النار مقدسة ظاهرة مما جعل الإيرانيين يقيمون لها المعابد في كل مكان<sup>2</sup>.

من أهم الطوائف المجوسية الزرادشيتية نسبة إلى زرادشت بن إسيمان وقد عاش في القرن السابع قبل الميلاد تقريبا، وكان مسقط رأسه بحسب ما أشار إليه بعض المؤرخين في أذربيجان وأخذ يبشر بدينه في مختلف البلاد الفارسية<sup>3</sup>.

فبعد تأسيس الدولة الساسانية وإتخاذ المجوسية الزرادشيتية دينا رسميا للدولة وتوطيد قدميها في مناطق مختلفة من إيران كانت الزرادشيتية الديانة السائدة ودخل بعضهم إلى الدين الإسلامي وتصدى البعض الآخر للدين الجديد ودافعوا عن ديانتهم<sup>4</sup>.

1- سورة الحج: الآية 17.

2- شوقي ضيف: المرجع السابق، ص، 79.

3- بناز إسماعيل عدو: المرجع السابق، ص، 69.

4- بناز إسماعيل عدو: المرجع السابق، ص، 70.

ووفد إلى بغداد الكثير من المجوس الذين إشتغلوا بنقش الزجاج وتلوينه وصنع السلاح، وزاد عدد العمال في بغداد زيادة كبيرة وكان منهم الحرفيون الذين يحترفون الصناعات اليدوية كالحداديين والخياطين والتجارين والخبازين والباعة<sup>1</sup>. وهذا إن دل على سماحة الإسلام والمسلمون الذين عاملوا المجوس معاملة أهل الكتب السماوية وتركوا لهم حرية ممارسة شعائهم.

### المبحث الثالث: حقوق وواجبات أهل الذمة في ظل الخلافة العباسية.

#### أولاً: حقوق أهل الذمة

قبل أن نبحث في حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية، يجب أن نكون على علم بأن الدولة الإسلامية تقسم القاطنين بين حدودها إلى قسمين: قسم يؤمن بالمبادئ التي قد قامت عليها الدولة، وهم المسلمون، وقسم لا يؤمن بتلك المبادئ وهم غير المسلمين<sup>2</sup>.

كان لأهل الذمة في الدولة الإسلامية حقوق، وفي مقابل ذلك عليهم واجبات وتتمثل هذه الحقوق في:

1- حسن أحمد محمود و أحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، ط5، دار الفكر العربي، القاهرة، د:ت، ص، 242.

2- أبو الأعلى المودودي: حقوق أهل الذمة، كتاب المختار، د:ت، ص، 7.

## 1- حق الحماية:

ويتمثل في الكف عنهم والحماية لهم على أنفسهم و أموالهم و في الحقيقة كانت معاملة المسلمين لأهل الذمة تتم عن التسامح وعطف وكرم<sup>1</sup> فلا يجوز إيذاء الذمي باليد واللسان ولا شتمه وضربه ولا غيبته، كما لا يجوز ذلك كله في حق المسلم<sup>2</sup> والأصل أنه يجب على إمام المسلمين أن ينصر المستأمنين ماداموا في دار الإسلام وأن ينصفهم ممن يظلمهم<sup>3</sup>، وروي عن النبي صل الله عليه وسلم أنه قال: (( من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما ))<sup>4</sup> حتى إذا أغار عليهم أهل الحرب فعلى المسلمين القيام بدفع الظلم عنهم، لقوله صل الله عليه وسلم: (( المؤمنون عند شروطهم ))<sup>5</sup>.

## 2- حرية العقيدة والتدين:

من المعلوم أن القادة الفاتحين قد أتاحوا لأهل الذمة حقوقا وحریات تعددت من خلال العهود التي أبرموها معهم، فلم يقتصر العهد على أن يكونوا آمنين على أنفسهم و أرواحهم وأموالهم بل على ديانتهم ودور عبادتهم وبذلك أتيح لأهل الذمة

1- علي حسن الخريوطي: المرجع السابق، ص، 67.

2- أبو الاعلى المودودي: المرجع السابق، ص، 19.

3- السرخسي: شرح كتاب السير الكبير، ج5، تح: حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ص، 110.

4- البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجزية والموادعة، الباب الخامس، إثم من قتل معاهدا بغير جرم، رقم الحديث 3166، مج 2، ص، 782.

5- السرخسي: المصدر السابق، ص، 113.

حرية ممارسة شعائرهم الدينية فلم يفرض عليهم شئ من القيود وفتح لهم باب واسع للتسامح كان مغلقا<sup>1</sup>.

فلم يجبروا على ترك دينهم ولم يكرهوا على عقيدة لقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾<sup>2</sup>، وأباح لهم الإسلام ممارسة شعائرهم وعباداتهم وطقوسهم بما لا يؤذي المسلمين أو يخالفوا به حكما شرعيا مثل إظهار الصلبان وارتفاع الأصوات في المعابد والكنائس<sup>3</sup>.

وقد قويت الروابط الاجتماعية بين المسلمين وأهل الذمة في العصر العباسي إذ شارك كل طرف الآخر في آعياده و إحتفالاته، كما تبادل الفريقان الهدايا والمأكولات في المناسبات الدينية وغير الدينية<sup>4</sup> فحافظ الحكام العباسيون على المؤسسات الدينية التابعة لأهل الذمة من كنائس وأديرة ووقفوا في وجه العابثين بها<sup>5</sup>.

وعليه فالإسلام قد أتاح للشعوب المفتوحة حرية دينية كانوا يفتقدون إليها.

### 3- البر و الإحسان لهم عند الفقر والشيخوخة:

يراد بهذا كله الرفق بأهل الذمة ولا يباع عليهم من متاعهم شئ ولكن يؤخذ مما سهل عليهم بالقيمة، ففي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه مر بشيخ

1- نريمان عبد الكريم أحمد: معاملة غير المسلمين في الدولة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996م، ص، 81.

2- سورة البقرة: الآية 256.

3- ابن القيم الجوزية: أحكام أهل الذمة، مج 1، ط1، رمادي للنشر، السعودية، 1997م، ص، 6، 7.

4- إبراهيم أيوب: المرجع السابق، ص، 252، 253.

5- مصطفى علم الدين: المرجع السابق، ص، 200.

من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس فقال: ( ما أنصفناك إن كنا أخذنا منك الجزية في شببتك ثم ضيعناك في كبرك ) فأجرى عليه من بيت المال ما يصلحه<sup>1</sup>.

وقد أجاز الإسلام الصدقة على أهل الذمة للفقراء منهم فعن ابن العباس قال: كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين فسألوا فرخص لهم فنزلت هذه الآية<sup>2</sup>: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ ۗ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۗ﴾<sup>3</sup>.

وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: قدمت قتيلة على إبنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا وهي مشركة فأبت أسماء أن تقبل هديتها و أن تدخلها بيتها، فسألت عائشة النبي صل الله عليه وسلم<sup>4</sup> فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾<sup>5</sup>.

#### 4- حرية العمل والكسب:

من الحقوق التي يكفلها الإسلام لأهل الذمة حقهم في تولي الوظائف العامة و الكلام في الوظائف التي يمكن أن يتقلدها أهل الذمة في الدولة المسلمة غير منضبط بنص من القرآن الكريم أو السنة، فمن الوظائف العامة التي لا يكلف بها

1- ابن القيم الجوزية: المصدر السابق، ص، 144.

2- عبد الباسط بن يوسف الغريب: تسامح الإسلام مع غير المسلمين حصر و إستقراء النصوص والأثار المتعلقة بتعامل المسلمين مع غيرهم، ص، 63.

3- سورة البقرة: الآية 272.

4 - عبد الباسط بن يوسف الغريب: المرجع السابق، ص، 63.

5 - سورة الممتحنة: الآية 8، 9.

الذمي لأن طبيعتها تقتضي أن لا يتولاها إلا مسلم لأن من شروط تقليدها للشخص أن يكون مسلماً: الخلافة أي الإمامة أو الإمارة على الجهاد<sup>1</sup>.

لم يكتف الفقه الإسلامي بتقرير المساواة بين المسلمين وغيرهم، بل زاد على ذلك أن أعطى أهل الكتاب حق مباشرة التصرفات التي تسمح بها شعائهم ودياناتهم، وحتى ولو كانت تتعارض مع ما تقتضي به الشريعة الإسلامية مثال ذلك إباحة الخمر وتربية الخنازير<sup>2</sup> فلهم أن يصنعوا الخمر و يشربوها وبيعوها ولهم أيضا أن يربوا الخنازير ويأكلوها وبيعوها<sup>3</sup>.

فالإسلام ضمن لغير المسلمين الحق في العمل والتجارة وممارسة جميع ألوان النشاط الاقتصادي سواء بالتعاقد مع الغير أو بالعمل لحساب أنفسهم، ولهم أيضا مزاولة ما يختارون من المهن الحرة ومباشرة ما يريدون من الأعمال والحرف شأنهم في ذلك شأن المسلمين<sup>4</sup>.

### ثانياً: واجبات أهل الذمة

عاش أهل الذمة في الأقاليم الإسلامية من اليهود والنصارى والصابئة والمجوس في ذمة المسلمين بموجب عهود تراعي مصالحهم بعد إعطاء العهد والأمان على أنفسهم وأملاكهم ونسائهم وأطفالهم وحررياتهم الدينية والمدنية، كما

1 - ماجد بن صالح المضيان: دور أهل الذمة في إقصاء الشريعة الإسلامية، ب د، ط، دار الفضيلة، مصر، 2007م، ص، 37، 38.

2 - إدوار غالي الذهبي: معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ط1، مكتبة غريب، القاهرة، 1993م، ص، 97.

3 - أبو الأعلى المودودي: المصدر السابق، ص، 18.

4 - إدوار غالي الذهبي: المرجع السابق، ص 100.

فرضت عليهم بعض الأحكام التي يجب عليهم الإلتزام بها في إطار الدولة الإسلامية من أهمها:<sup>1</sup>

### 1- دفع الجزية:

وضع المسلمون بعد غلبتهم على غير البلاد العربية الجزية على الرؤوس وهذه الجزية يقابلها من المسلمين الحماية ودفع العدو عنهم<sup>2</sup> فكان الخلفاء والحكام المسلمون يلتزمون غالبا سياسة العدل والرحمة عند أخذ الجزية عنهم والرفق بهم وجاء في نص الشريعة الإسلامية تحريم إيذاء وظلم أهل الذمة من أجل الجزية أو تكليفهم بما لا يطيقون<sup>3</sup>.

والجزية واجبة على جميع أهل الذمة من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والسامرة وإنما تجب الجزية على الرجال منهم دون النساء والصبيان على الموسر ثمانية وأربعون درهما وعلى الوسط أربعة وعشرون وعلى المحتاج الحراث العامل بيده إثنا عشر درهما يؤخذ ذلك منهم في كل سنة ولا يؤخذ منهم في الجزية مية ولا خنزير ولا خمر، ولا تؤخذ الجزية من المسكين الذي يتصدق عليه ولا من أعمى لا حرفة له ولا من مقعد<sup>4</sup>.

ورغم أن الإسلام فرض على أهل الذمة دفع الجزية إلا أنه لعدله وسماحته راعى الفئات الغير قادرة على دفعها فكانت الجزية على قدر دخل الفرد وكسبه ومنهم من كان يدفع الجزية من إنتاجه الزراعي أو الحيواني.

1 - بناز إسماعيل عدو: المرجع السابق، ص، 75.

2 - محمد بك الخضري: تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية، ب د، ط، المكتبة العصرية، بيروت، 2003م، ص، 127.

3 - بناز إسماعيل عدو: المرجع السابق، ص، 76.

4 - أبو يوسف: الخراج، ب د، ط، دار المعرفة، بيروت، 1979م، ص، 122.

2- إحترام شعائر المسلمين:

للإسلام والمسلمين مقدسات راعى فيها الإسلام شروطاً خاصة وذلك كالمساجد والمصحف الشريف وإسم الله تعالى وغير المسلم لا ينضببط بهذه الضوابط في الأغلب كما أن الدار هي دار الإسلام والسلطان فيها للمسلمين<sup>1</sup>.

فالذمي إذا سب الله والرسول صل الله عليه وسلم أو عاب الإسلام علانية فقد نكث بيمينه وطعن في ديننا أو مثلاً كترك اللباس المفروض عليهم وشرب الخمر وإظهار الخنزير وكل ما يضر بالمسلمين وبالدين<sup>2</sup>.

يمنعون من إحداث البيع والكنائس في أمصار المسلمين<sup>3</sup> ورفع الأصوات بكتبهم والضرب بالنواقيس وإطالة البناء على أبنية المسلمين والتشبه بالمسلمين في ملبوسهم وركوبهم وشعورهم وكناهم<sup>4</sup> أو أن يظهروا ببيع الخمر في أمصار المسلمين لأن ذلك يرجع إلى الاستخفاف بالمسلمين كذلك إذا حضر لهم عيد يخرجون فيه صليبيهم فليفعلوا ذلك في كنائسهم القديمة، فأما أن يخرجوا ذلك من الكنائس حتى يظهروه في المصر فليس لهم وهذا كله إظهار لشعائر الكفر في أمصار المسلمين<sup>5</sup>.

لا يجوز لغير المسلمين إظهار شعائر كفرهم في بلاد المسلمين أو البلاد المفتوحة وهذا يقودنا إلى شيء واحد وهو أنهم يريدون زوال سلطان الإسلام وأهله أو أنهم يتربصون للوقت المناسب لينقضوا عهدهم ويثيروا الفتن والقتل<sup>6</sup>.

1 - عطية فياض: المرجع السابق، ص، 107.

2 - ابن حزم: المصدر السابق، ص، 1383.

3 - عطية فياض: المرجع السابق، ص، 52.

4 - ابن قيم الجوزية: المصدر السابق، ص، 1384.

5 - عطية فياض: المرجع السابق، ص، 52.

6 - المرجع نفسه، ص، 100، 102.

3- الإختلاف عن المسلمين:

ولما صار أهل الذمة جزء من المجتمع الإسلامي وجب تمييزهم عن المسلمين وذلك بلبس ثوب يخالف لونه بقية ثيابهم كعسلي لليهود وأدكن للنصارى<sup>1</sup> وأسود للمجوس و الأحمر للسامرة<sup>2</sup> أما المرأة تلبس خفين مختلفي اللون ويؤمرون بشد الزنار فوق ثيابهم لأنهم إن شدوه من داخل لم ير ويكون الزنار للمرأة تحت ثيابها<sup>3</sup>.

ويكون تمييزهم عن المسلمين في شعورهم إما بجز مقادم رؤوسهم وإما بسد لها<sup>4</sup> ويتكون الفرق وهو قسم شعر الشعر نصفين بالتسوية لأن الفرق الفرق من سنة المسلمين بل تكون شعور رؤوسهم جممة<sup>5</sup>.

وأهل الذمة ممنوعون من ركوبهم السروج ويكلفون بركوب الحمير والبغال عرضا وتكون أرجلهم جميعا إلى جانب واحد<sup>6</sup>.

يمنع أهل الذمة من تقلد السيوف أو حملها على اختلاف أجناسها كالقوس والنشاب والرمح ولو مكنوا من هذا لأفضى إلى اجتماعهم إلى قتال المسلمين وحرابهم<sup>7</sup>.

1 - البهوتي: كشف القناع على متن الإقناع، ج3، ب د، ط، عالم الكتب، بيروت، 1983م، ص، 128.

2 - الرملي: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، ج8، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص، 103.

3 - البهوتي: المصدر السابق، ص، 128، 129.

4 - ابن قيم الجوزية: المصدر السابق، ص، 1295.

5 - البهوتي: المصدر السابق، ص، 127.

6 - ابن قيم الجوزية: المصدر السابق، ص، 1300، 1302.

7 - المصدر نفسه، ص، 1305.

#### 4-إلتزام أحكام الإسلام:

فيجب على الذميين إلتزام أحكام الإسلام فيما يخص الاضرار بالمسلمين في نفس أو مال وأن القيام بذلك يعد نقضا لعهودهم ويعاقب الذمي بالعقوبة نفسها الواقعة على المسلم في قتل المسلم والمسلمة وقطع الطريق على المسلم وإيواء الجاسوس على المسلمين وإعانة أعداء المسلمين أو أن يزني الذمي بمسلمة أو قذف ذمي مسلما أو مسلمة أو أن يفتن مسلما في دينه<sup>1</sup>.

فمن قتل أو قطع طرفا أخذ بموجب ذلك كالمسلم فلو أتلف مالا لغيره ضمنه والعرض فمن قذف إنسانا أو سبه أو نحوه أقيم عليه ما يقام على المسلم بذلك، ويلزمه إقامة الحد عليهم فيما يعتقدون تحريمه كزنا وسرقة وقد إلتزموا حكم الإسلام فنثبت في حقهم كالمسلم ولا يقيم الحد عليهم فيما يعتقدون حله كشرب الخمر ونكاح محرم وأكل لحم الخنزير لأنهم يعتقدون حله<sup>2</sup>.

وخلاصة القول أن هذه الاجراءات كلها كانت بسبب سلوك أهل الذمة ولدواع دينية أمنية وإجتماعية ومن أجل سلامة الدولة الإسلامية ومن جانب آخر فقد كان أهل الذمة يتناولون كثيرا في نقض عهودهم مع المسلمين<sup>3</sup> بالإضافة إلى ذلك إلى أن الذميين قد رضوا المقام في دار

1 - بناز إسماعيل عدو: المرجع السابق، ص، 72.

2 - البهوتي: المصدر السابق، ص، 126.

3 - بناز إسماعيل عدو: المرجع السابق، ص، 144.

الإسلام وفي ظل الدولة الإسلامية ويتقرر لهم من الحقوق ما للمسلمون وعليهم ما على المسلمين إلا أن هذا لا يمنع أن منهم من يريد زوال سلطان الإسلام وأهله لحاجة في نفسه أو لملك كان يريده أو لحقده على الإسلام والمسلمين<sup>1</sup>.

---

1 - عطية فياض: المرجع السابق، ص، 100.

# الفصل الثاني

## دور أهل الذمة في الحياة الثقافية

1- المبحث الأول : دور أهل الذمة في العلوم العقلية

2- المبحث الثاني : دور أهل الذمة في العلوم النقلية

3- المبحث الثالث : نتائج التواصل الثقافي بين أهل الذمة

والدولة العباسية

تمثل الثقافة التراث الفكري الذي تتميز به الأمم عن بعضها البعض وتختلف طبيعة هذه الثقافة وخصائصها من مجتمع إلى آخر نظرا للإرتباط الوثيق الذي يربط بين واقع الأمة وتراثها الفكري والحضاري، وهذه الثقافة تنمو مع النمو الحضاري للأمة وتتراجع مع التخلف الذي تصاب به تلك الأمة، ولذا فإن ثقافة الأمة تعبر عن مكانتها الحضارية التي وصلت إليها، وإذا كانت الثقافة تعبر عن الخصائص الحضارية والفكرية التي تمتاز بها أمة ما فأنا نلاحظ أن الثقافات المختلفة تلتقي مع بعضها في كثير من الوجوه، وتتلاقح فيما بينها عن طريق الإمتزاج بين ثقافات الشعوب فتتفاعل مع بعضها.<sup>1</sup>

والمجتمع الإسلامي مثلا أصبح ملتقى لحضارات مختلفة وثقافات متنوعة، والأمم التي إعتنقت الإسلام كانت ذات مزايا مختلفة، وقد جمع الإسلام هذه الأمم تحت راية واحدة وفي إطار دين واحد فكان طبيعيا جدا أن يتأثر المجتمع الإسلامي بآداب وتقاليده هذه الأمم وعاداتها.<sup>2</sup>

تمتاز الثقافة الإسلامية بشخصية متميزة من حيث مصادرها ومقوماتها وخصائصها وأهدافها وقد إستطاعت هذه الثقافة أن تستفيد من التراث الحضاري الذي خلفته الأمم الأخرى في المجالات العلمية حيث ترجمت كتب التراث الإغريقي والفارسي إلى اللغة العربية في العصر العباسي ثم أضاف العلماء المسلمون الجديد من فكرهم وإنتاجهم إلى هذا التراث الحضاري فصححوا الكثير من النظريات وعدلوا الكثير من الآراء ومن أهم مظاهر الحضارة الإسلامية أنها إستطاعت أن تؤثر تأثيرا كبيرا في جميع الشعوب التي خضعت للدولة الإسلامية، بل أن الثقافة الإسلامية قد طغت على الثقافة

1- أحمد علي الملا: أثر العلماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، ط1، دار الفكر، دمشق، 1981م، ص، 11.

2- عبد الحميد مظاهري ندوي: الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الاول دروس الاصلاح الواقع الدعوي، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2005م، ص ص، 225، 226.

الأصلية للشعوب التي إنتشرت فوق ربوعها راية الإسلام ويتم هذا التحول الفكري العظيم بدون إكراه أو إجبار.<sup>1</sup>

ومن الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم العجم وليس في العرب حملة علم لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية إلا في القليل النادر، وإن كان منهم العربي في نسبه فهو عجمي في لغته ومرباه ومشيخته مع أن الملة عربية وصاحب شريعته عربي.<sup>2</sup>

ومفهوم الأعجمي في الثقافة الإسلامية كما نعرف للدلالة عن غير العربي من أصحاب الثقافات القديمة الذين يعترف لهم ابن خلدون بدور بارز في نشر العلوم داخل الدولة الإسلامية ولئن كثر عدد علماء الأعاجم في الفترة العباسية وكثر إنتاجهم العلمي بحيث رفع العصر إلى الفترة الذهبية في التاريخ الإسلامي، فإن روافدهم الثقافية لم تنقطع في أية مرحلة منذ دخول الأعاجم في دار الإسلام، وإن كان للعلماء العباسيين من إمتياز عن سابقيهم في الفترات السابقة، فلكونهم قد دونوا علومهم في مؤلفات حفظتها من الإندثار بعد أن هيأت لهم الدولة العباسية عبر الخلفاء والوزراء المشجعين للعلم والعلماء جوا ملائما مكنهم من نقل التراث العلمي إلى اللغة العربية.<sup>3</sup>

ويمكننا أن نضيف إلى ذلك كله حقيقة هامة وهي أن أهل الذمة هم الذين تزعموا حركة الترجمة وبرعوا فيها وأخلصوا كل الاخلاص، ولم يكن من المعقول أن يأتي ذلك عفوا، إنما أتى بعد أن ألف أهل الذمة الحياة العربية وشاركوا في الحياة السياسية، ولم يفقدوا حرياتهم الدينية ونعموا بحسن المعاملة وطيب المعاشرة، ووجدوا أن الدين لم يحل بينهم وبين تطلعاتهم المتنوعة، كما أنه لا بد أن يمضي وقت طويل ليستعرب أهل الذمة

1- أحمد على الملا: المرجع السابق، ص، 14.

2- عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ج2، ط1، دار البلخي، دمشق، 2004م، ص361.

3- مصطفى علم الدين: المرجع السابق، ص، 228.

ويتقنوا اللغة العربية إلى جانب لغاتهم الأصلية، ولم يتم استعراب أهل الذمة على نطاق واسع إلا في العصر العباسي.<sup>1</sup>

كان الترجمة ينتسبون إلى ملل ونحل مختلفة من المسلمين من النصارى من السريان واليعاقبة من الصائبة من الأقباط والبراهمة والمجوس واليهود وغيرهم وكان الخلفاء ومحبا العلم يقبلون عليهم ويجزلون لهم العطاء ويرغبونهم بشتى الطرق لكي يستفيدوا منهم في الترجمة وشرح الكتب العلمية التي يترجمونها ووضع الاصطلاحات لها ولم يكن اهتمام الخلفاء مقصورا على الحكمة والفلسفة والعلوم العقلية فقط بل كانوا يهتمون بالآداب والتاريخ والفقهاء.<sup>2</sup>

ولم يكن ما أنقذه العرب من ثقافات ليحفظ في المتاحف والأقبية بعيدا عن النور والهواء كلا إن كل ما أنقذوه من الفناء قد خرجوا به من عالم النسيان والتعفن وبعثوا فيه حياة جديدة وجعلوه في متناول كل راغب عن طريق ترجمته فكان لكل فرد في الدولة الإسلامية حق الأخذ بنصيب من تلك النهضة العلمية والتي لم تكن وقفا على طبقة من الشعب دون أخرى.<sup>3</sup>

تبين لنا فيما سبق أن حركة النقل والترجمة قد نشأت في الدولة الإسلامية نتيجة للتطور الذي عاشه العصر العباسي، فقد كان من الطبيعي أن تتحدد نوعية العلوم المنقولة وفق نوعية الحاجة إليها دينية كانت أم إجتماعية أو ثقافية<sup>4</sup> وعلى هذا الأساس قسم العلماء المسلمون العلوم إلى عقلية ونقلية.

1-حسن أحمد محمود وأحمد ابراهيم الشريف، المرجع السابق، ص، 215.

2 -حيدر قاسم التميمي: بيت الحكمة العباسي ودوره في ظهور مراكز الحكمة في العالم الاسلامي، ط1، دار زهران، الأردن، 2011م، ص، 36.

3 -زغيريد هونكه: المرجع السابق، ص، 378.

4 -مصطفى علم الدين: المرجع السابق، ص، 233.

## المبحث الأول: دور أهل الذمة في العلوم العقلية

وأما العلوم العقلية التي هي طبيعية الإنسان من حيث أنه ذو فكر فهي غير مختصة بملة بل يوحد النظر فيها لأهل الملل كلهم ويستوون في مداركها ومباحثها وهي موجودة في النوع الإنساني منذ كان عمران الخليفة<sup>1</sup> وتشمل العلوم العقلية الطب والصيدلة والرياضيات والفلك وغير ذلك، وأهتم أهل الذمة كثيرا بها وترجموا عددا غير قليل من الكتب من التراث الأمم الأخرى كالفرس والترک وغيرهم، ولم يقتصروا على ذلك، بل شرحوا وأضافوا وصنفوا فيها على شكل تصانيف جديدة.<sup>2</sup>

### 1- علم الهيئة:

وهو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيزة ويستدل بكيفيات تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك لزمّت عنها هذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية كما برهن على أن مركز الأرض مباين لمركز فلك الشمس بوجود حركة الإقبال والأدبار وكما يستدل بالرجوع والإستقامة للكواكب على وجود أفلاك صغيرة حاملة لها متحركة داخل فلكها الأعظم.<sup>3</sup>

هذا ولقد ساهم النقلة بترجمتهم للكثير من الكتب الفلكية من اللغات اليونانية والفارسية إلى اللغة العربية ويعود هذا الإهتمام الزائد بها بغية معرفة تحركات الكواكب وعلاقتها بالأعياد الدينية منها الإسلامية كانت أو النصرانية لتحديد مواعيدها فضلا عن معرفة الأوقات، حيث برع وأهتم صائبة منطقة حران في هذا المجال لأن عقيدتهم كانت تقوم على عبادة النجوم والكواكب، وهم يزعمون تأثيرها على الإنسان وعليه فقد مارسوا

1 - عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ص، 248.

2 - نياز اسماعيل عدو: المرجع السابق، ص، 178.

3 - عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ص، 260.

هذا العلم بإهتمام كبير لاسيما في عهدي الخليفة المعتضد بالله ( 289هـ / 892-902م)، والخليفة المقتدر بالله ( 295-320هـ / 908-932م).<sup>1</sup>

وكانت النجامة من العلوم المعروفة قديما عند العرب، غير أن الإجتهد فيها كان محصورا في نفر قليل من أتباع الأقبال الذين تداولوا ملكهم قبل الإسلام.<sup>2</sup> وقد ميز المسلمون بين الفلك والتنجيم، حيث بينوا أن الفلك حقيقة وأن التنجيم خرافة.<sup>3</sup>

لم يفرق العلماء في العصر العباسي بين علم الفلك والتنجيم بحيث أن علم الفلك نشأ متطفلا عن حركة التنجيم ومن المرجح أن هذا المزج ناتج عن المصادر الأعجمية التي نقلوا عنها دراساتهم في أحوال الفلك ودراسة حركة النجوم، فقد ساد الاعتقاد عند اليهود والفرس بوجود رابط بين حركة الكواكب وأحوال البشر وقد ذاع الاعتقاد بالتنجيم آنذاك.<sup>4</sup>

سيطرت أقوال المنجمين وعلم النجامة على تفكير الحكام فلم يفعلوا شيئا أو يقوموا بعمل هام كشن الحرب قبل أخذ رأي الفلكيين فالخليفة أبو جعفر منصور إعتد على أقوال المنجمين عند بنائه لمدينة بغداد، وهكذا لم يضع المنصور الحجر الأساسي لمدينته إلا بعد أن أشار عليه أبو سهل بن نوبخت<sup>5</sup> المنجم بأن النجوم تشير إلى ازدهار هذه المدينة وطول عمرها.<sup>6</sup>

1 -بناز اسماعيل عدو: المرجع السابق، ص، 183.

2 -جميل نخلة المدور: تاريخ العراق في عصر العباسيين(حضارة الاسلام في دار الاسلام)، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، د:ت، ص، 177.

3 -عماد الدين خليل وفايز الربيع: الوسيط في الحضارة الاسلامية، ط1، دار الحامد، عمان، 2004م، ص، 155.

4 -مصطفى علم الدين: المرجع السابق، ص، 216.

5 -أبو سهل بن نوبخت: منجم اشتغل بالترجمة من الفارسية إلى العربية في دار الحكمة، توفي عام (815م)، للمزيد ينظر: زيغريد هونكه: المرجع السابق، ص، 209.

6 -أمينة بيطار: المرجع السابق، ص، 273.

ونظرا لكلف المنصور بحركات الكواكب وحبه للإطلاع عليها قصد أصحابها من بلاد فارس والهند والروم وفي جملتهم رجل من الهند بارع وعرض عليه كتابا في النجوم، فأمر المنصور أن ينقل هذا الكتاب إلى العربية وأن يؤلف فيه كتاب يتخذة العرب أصلا في حركات الكواكب.<sup>1</sup> فتولى ذلك ( محمد بن إبراهيم الفزاري)<sup>2</sup> وعمل منه كتابا سماه المنجمون ( السند هند الكبير) وظل أهل ذلك الزمان يعملون به إلى أيام المأمون فأهتم الناس من ذلك الحين بعلم النجوم ومتعلقاتها وجرهم النظر في الأفلاك إلى الهندسة، فكتب المنصور إلى ملك الروم أن يبعث إليه بكتب التعاليم مترجمة فبعث إليه كتاب إقليدس<sup>3</sup> وبعض كتب الطبيعيات.<sup>4</sup>

هذا التفكير في العصور الوسطى أنعش الدراسات الخاصة بالفلك والنجوم في العصر العباسي وأشتهر في عهد المأمون موسى بن شاكر وأبناءه الثلاثة وهم محمد وأحمد والحسن<sup>5</sup> هذا ويعد عبد الله بن صابر بن سنان البتاني (240-317هـ/854-929م) الذي ولد في بتان إحدى القرى التابعة لمدينة حران عالما بارعا في علم الفلك قرابة خمسين عاما وزاول الأرصاد الفلكية أيضا وبقي في خدمة الخليفة العباسي المقتدر ثم إنتقل إلى مقام الخليفة الراضي ثم أسلم ومات على دين الإسلام سنة (317هـ/929م) بعد عودته إلى مسقط رأسه بتان، وترجم البتاني كتاب نوميس هرمس والسور والصلوات

1 - جرجي زيدان: تاريخ التمدن الاسلامي: ج3، ب د، ط، دار الهلال، القاهرة، 2001م، ص، 155.

2 - الفزاري: هو أول فلكي في الاسلام وهو الذي ترجم كتاب ( السند هند) بأمر من المنصور، زيغريد هونكه: المرجع السابق، ص، 104.

3 - إقليدس: من أشهر علماء الهندسة اليونان وكان أستاذًا بجامعة الاسكندرية القديمة في عهد بطليموس الاول(306-283 ق.م)، ابن خلدون، ج2، المصدر السابق، ص، 251.

4 - جرجي زيدان: تاريخ التمدن الاسلامي، ج3، المرجع السابق، ص، 156.

5 - إبراهيم أيوب: المرجع السابق، ص، 273.

التي يصلها الصابئون إلى العربية وله مصنفة المعروف ( بالزيج الصابي) وهو كتاب قيم في علم الفلك المبني على القوانين الرياضية معتمدا على حركة الكواكب و بروجها.<sup>1</sup> وتجدر الإشارة إلى أن في عصر المأمون ترجم إلى العربية كتاب (المجسطي)<sup>2</sup> لبطليموس وقد تطور هذا العلم مع إقامة المراصد لمراقبة الكواكب والأجرام السماوية وتعين أماكنها وحركاتها وكان المأمون هو الذي طلب من علماء النجوم صنع آلات لرصد هذه الكواكب فأقاموا له مرصدا في بغداد وآخر في دمشق<sup>3</sup> ونشأ عن رصد العرب للإعتدال الشمسي تعيينهم مدة السنة بالضبط، وأقدم العرب على قياس خط نصف النهار الذي لم يوفق له إلا بعد مرور ألف سنة وأنجزوا هذا القياس بحسابهم المسافة الواقعة بين نقطة البدئ التي سار منها الراصدون ونقطة النهاية.<sup>4</sup>

ومن خلال ما تقدم نقول برع العرب المسلمون في علم الفلك وتقدموا فيه كثيرا، فجمعوا بين آراء الفرس والهند واليونان وزادوا عليها وحفظوا كتبها كادت أن تضيع أصولها فأقاموا العديد من المدارس الفلكية، كما أقاموا العديد من المراصد الفلكية التي استخدموها في أبحاثهم الفلكية.

## 2- الطب:

علم ينظر في صحة بدن الإنسان، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها وما لكل مرض من الأدوية مستدلين على ذلك

1 -بناز اسماعيل عدو: المرجع السابق، ص، 184.

2 -المجسطي: كتاب لبطليموس مؤلف من ثلاث عشر مقالة، زيغريد هونكه، المرجع السابق، ص، 180.

3 -مصطفى علم الدين: المرجع السابق، ص، 262.

4 -غوستاق لوبون: حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، ب د، ط، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013م، ص، 472.

بأمزجة الأدوية وقواها وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بنضجه وقبوله الدواء وسمي العلم الجامع لهذا كله علم الطب<sup>1</sup> وقد كان الطب في شبه الجزيرة قبل الإسلام مبدئياً، كان العلاج يختلط بالشعوذات وفي العهد النبوي عرف الطب الوقائي وتناول الطب النبوي الأمراض والعلاجات ومنافع النبات ومضارها وإستعمال العسل في بعض الأمراض.<sup>2</sup>

ومن العلوم التي إهتم العرب بنقلها في أيام المنصور الطب والسبب في ذلك أن المنصور أصابه مرض في معدته فأنقطعت شهيته وكان الأطباء القائمون في خدمته يعالجه ولا يجدي علاجهم نفعا فجمعهم يوماً وقال لهم: ( هل تعرفون من الأطباء في سائر المدن طبيبا ماهرا؟) فقالوا: ليس في وقتنا هذا أحد يشبه جورجس رئيس أطباء جنديسابور<sup>3</sup> وهو جورجس<sup>4</sup> بن بختيشوع السرياني وكان ماهرا في الطب وله فيه مصنفات باللغة السريانية، فبعث المنصور في طلبه ولما حضر إلى بغداد عالجه وشفى من علته فأكرمه المنصور بثلاثة آلاف دينار وثلاث جاريات.<sup>5</sup>

ولما كان الطب إحدى ضروريات الإنسان إعتنى به المسلمون في القرى والمدن والأمصار الإسلامية لما عرفوا فائدته، ولقد ساهم علماء النصارى بإسهاب في التقدم الطبي جنباً إلى جنب مع العلماء المسلمين فظهر عدد من الأطباء من أهل الذمة.<sup>6</sup>

1 - عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ص، 268.

2 - شحادة الناطور: الخلافة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجري، ط1، دار الثقافة، الأردن، 1990م، ص، 240.

3 - جندي يسابور: مدينة في خزخستان أسسها الملك سابور الأول الساساني وأسكن فيها الشعوب اليونانية، التي أسرها إشتهرت بمعهدا الطبي وكانت لغة التعليم فيها الآرامية، للمزيد ينظر: زيغريد هونكه: المرجع السابق، ص، 187.

4 - جورجس بن بختيشوع: وهو أول من ابتدأ في نقل الكتب الطبية إلى اللسان العربي عندما استدعاه المنصور وكان كثير الاحسان إليه، للمزيد ينظر: ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح، نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د : ت، 236.

5 - جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ج3، ص، 156.

6 - بناز اسماعيل عدو: المرجع السابق، ص، 179.

فالإغريق مثلا نهضوا بالطب أكثر ما نهضوا بمعظم العلوم الأخرى، ووجد العرب في مؤلفاتهم مباحث مفيدة، وكان هارون الرشيد 585م أول من قام بترجمة كتب اليونان الطبية وكانت مجموعته الطبية مقتطفات من كتب أطباء اليونان ولا سيما ( جالينوس)<sup>1</sup> ثم ترجمت كتب<sup>2</sup> (بقراط)<sup>3</sup>.

ولما كان الطب أولى العلوم التي إهتم بها العلماء بسبب دفع الحكام لهم وتسهيل مهمتهم بإستحضار المؤلفات من خزائن العلم في بلاد الروم والهند ومن مراجعة كتب التاريخ نجد أن درجة إهتمام الخلفاء بالطب وصلت في عهد الرشيد إلى إنشاء معاهد لتدريس الطب في بغداد، وقد أقبل طلبة الطب على هذه المعاهد، وسرعان ما تطور الطب في الفترة العباسية بحيث نشأت فيه التخصصات وسمي الأطباء نسبة إلى تخصصهم كالكحالون ( أطباء العيون) والجراحيون ( الجراحون) والفسادون ( الفصد: إخراج كميات من الدم الزائد)<sup>4</sup>.

ونظرا لأهمية الطب في حياة الخلفاء العباسيين كانوا يعقدون مؤتمرا سنويا أثناء موسم الحج يقوم فيه كل طبيب باحث بعرض الحالات الخاصة التي واجهته في عمله والإكتشافات الجديدة في خصائص الأعشاب الطبية.<sup>5</sup>

ولا ننسى دور البرامكة في تنشيط حركة الترجمة فقد بذلوا الجهود الكبيرة لتشجيع نقل العلوم القديمة (الرومية، اليونانية، والفارسية، والهندية إلى اللغة العربية)، فأستقدم

1 -جالينوس: (131-201) طبيب يوناني له اكتشافات في علم التشريح، للمزيد ينظر: زيغريد هونكه: المرجع السابق، ص، 188.

2 بقراط: (460 ق م) ولد في جزيرة كوس (اليونان) أشهر الاطباء الاقدمين، للمزيد أنظر: زيغريد هونكه، ص، 188. ابن نديم: الفهرست، تح: ناهد عباس عثمان، دار قطري، الدوحة، قطر، 1985م، ص، 284.

3 -غوستاف لوبون: المرجع السابق، 504.

4 -مصطفى علم الدين: المرجع السابق، ص ص ، 256،257.

5 -المرجع نفسه، ص، 257.

يحي بن خالد بعض أطباء الهند كان من بينهم (منكه)<sup>1</sup> الذي كان ينقل من اللغة الهندية إلى العربية فأمره يحي بتفسير كتاب سرد وعشر مقالات في البيمارستان<sup>2</sup>، وأحضر يحي بن خالد وأبناءؤه أطباء وعقاقير من الهند غير متوفرة في العراق منهم الطبيب (ابن دهن الهندي)<sup>3</sup> الذي كان يدير بيمارستان البرامكة ببغداد.<sup>4</sup>

ويعد عصر المأمون من أرقى عهود العلم في العصر العباسي وذلك لأمرين لأن المأمون إشتغل بالعلم وأمعن فيه فقد جالس كثيرا من العلماء وأخذ منهم جملة من العلوم، وأهتم بجمع تراث الأمم الأخرى وخاصة التراث اليوناني وأجرى الأرزاق على طائفة كبيرة من المترجمين لنقل هذه الكتب إلى اللغة العربية وقد كان محبا للعلوم العقلية ومن هنا جاء الإزدهار العظيم في حياة الترجمة في عصره ومن الذين قاموا بدور هام في الترجمة أيام المأمون (حنين بن اسحق)<sup>5</sup>، وهو الذي أوضح معاني كتب أبقراط وجالينوس ولخصها أحسن تلخيص وتعرض لكثير من المحن التي جلبها عليه حساده، لما كثرت ترجماته من اليونانية إلى السريانية والعربية وتشمل أكثر من تسعين مصنفا ومن مؤلفاته تفسير كتب جالينوس وتبلغ خمسة عشر كتبا ودس له الدساسون لدى الخليفة وزعموا أن

1- منكه: طبيب هندي الأصل كان عالما بصناعة الطب ويتقن اللغتين الهندية والفارسية وقد نقل العديد من الكتب الهندية إلى الفارسية والعربية، للمزيد انظر، هاني أبو الرب: > البرامكة ودورهم في الحياة العامة في الدولة العباسية قبل نكبتهم، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع30، 2013م، ص، 250.

2- هولوجودت فرج: البرامكة سلبياتهم وإيجابياتهم، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1990م، ص175.

3- ابن دهن الهندي: من الأطباء الهنود المشهورين قدم بغداد في أيام الرشيد وتولى إدارة بيمارستان وكان يتقن اللغتين الهندية والعربية وقد نقل عدة كتب طبية، للمزيد ينظر: هاني أبو الرب: المرجع السابق، ص، 250.

4- هاني أبو الرب: المرجع نفسه، ص232.

5- حنين بن اسحق: أبو زيد حنين بن اسحق الطبيب المشهور كان إمام وقته في صناعة الطب، وكان يعرف لغة اليونانيين وهو الذي عرب كتاب إقليدس ونقله إلى اللغة العربية، للمزيد انظر، ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مج 2، تح: إحسان عباس، ب د، ط، دار صادر، بيروت، د:ت، ص، 217.

6- حمدي عبد المنعم محمد: الدولة العباسية، ب د، ط، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2006م، ص، 292.

بهذه الكتب عبارات إحدانية فسجن ولكن الخليفة المتوكل أدرك قدر هذا العالم فأفرج عنه.<sup>1</sup>

ومن الأطباء الذين ظهوروا في القرن الثالث الهجري إلى جانب حنين بن اسحق ( ثابت بن قرّة)<sup>2</sup>، الذي ألف في الطب كتاب الذخيرة وكتاب في المولود ابن سبعة أشهر، وترجم لجالينوس كتاب الأمراض الحادة، وكتاب تشريح الرحم، ومن الاطباء كذلك<sup>3</sup> ( قسطا بن لوقا البعلبكي)<sup>4.5</sup>

وتقدم الطب والأطباء كان وراءه تشجيع العباسيين الذين لم يهملوا بناء البيمارستانات<sup>6</sup> وأولوها عناية فائقة، كما شجعوا على كتابة المؤلفات الطبية التي تشرح أسباب الداء وتصف الدواء فأشتهر ( أبو بكر محمد الرازي)<sup>7</sup>(ت311هـ) في حقل المؤلفات الطبية وله كتاب الحاوي تحدث فيه عن الأمراض والحصبة والجراحات والأدوية فنجح في تشخيص الحميات ذات البثور كالجدري والحمية و لا ننسى كتاب القانون في

1 -عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: تاريخ الحضارة الاسلامية ب د، ط، دار الفكر، القاهرة، 2005م، ص، 351.

2 -ثابت بن قرّة: لثابت بن قرّة كتب عديدة منها كتاب وجع المفاصل والنقرس، كتاب في البياض الذي يظهر في البدن، كتاب جوامعة لكتاب جالينوس في الأدوية المفردة وكتاب في الجدري والحصبة، زيغريد هونكه، ص، 179.

3 -عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق، ص، 149.

4 -قسطا بن لوقا البعلبكي: وهو من نصارى الشام وكان طبيبا حاذقا وفيلسوبا نبيلاً رحل إلى بلاد الروم في طلب العلم وكان عالماً باللغات اليونانية والسريانية والعربية ونقل كتب كثيرة من اليونانية إلى العربية، جرجي زيدان: تاريخ التمدن الاسلامي، ج3، ص، 165.

5 -عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق، ص، 149.

6 -البيمارستانات: ( بفتح الزاء وسكون السين) كلمة فارسية مركبة من كلمتين (بیمار) بمعنى مريض و(ستان) بمعنى بمعنى مكان أو دار فهي إذن دار المرضى، للمزيد ينظر: أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، 1981م، ص، 4.

7 -أبو بكر الرازي: ظهر في القرن التاسع من الميلاد وأشتهر بالطب و الكيمياء وبلغ عدد مؤلفاته 226 مؤلف وأهمها وأهمها كتاب الحاوي وله عدة مخطوطات في الكيمياء، للمزيد ينظر: غوستاف لوبون: المرجع السابق، ص259.

الطب<sup>1</sup> (لإبن سينا)<sup>2</sup>، ويتألف هذا الكتاب من خمسة أجزاء إشملت على علم وظائف الأعضاء وعلم الصحة، وعلم الأمراض وعلم المعالجة (و لإبن سينا) في القانون آراء قيمة وملاحظات في غاية الأهمية.<sup>3</sup>

ونخلص في الأخير إلى القول أن المسلمون أضافوا إلى علم الطب الكثير من اكتشافهم لبعض الأمراض التي لم يسبقهم أحد إلى معرفتها كالجدري وأمراض العيون فأهتموا بالجانب الإنساني في الطب وفرضوا إمتحان يجتازه من يصلح طبياً أو جراحاً<sup>4</sup>.

### 3- الصيدلة:

علم يتعلق بمعرفة العقاقير وإستخراجها من النباتات لمعالجة الأمراض<sup>5</sup>، وهي فرع من فروع الطب يبحث فيه عن تمييز المتشابهات من اشكال النبات عن حيثية مكانها ( صينية-هندية)، ومن ثم معرفة موسمها (صيفية-أو خريفية)، وكذلك تمييز جيدها من رديئها ومعرفة ضواحيها وغرض الإنتفاع منها<sup>6</sup> ويتصل علم الصيدلة بعلم النبات إتصالاً وثيقاً فكان التداوي بالنبات يسمى: الأدوية المفردة أما التداوي بتركيب أخلاط نباتية كيميائية فيسمى: الأدوية المركبة.<sup>7</sup>

1 - إبراهيم أيوب: المرجع السابق، ص 272، 273.

2 - ابن سينا: ظهر في القرن العاشر من الميلاد وهو أشهر أطباء العرب طبع كتابه المهم القانون في الطب عدة مرات، للمزيد ينظر: غوستاف لوبون: المرجع نفسه، ص 257.

3 - أحمد علي الملا: المرجع السابق، ص، 143.

4 - فتحي علي يونس: أثر العرب والمسلمين في الحضارة الأوروبية، ب د، ط، دار الكتب الثقافية للراشدين، القاهرة، 1996م، ص، 275.

5 - يوسف أرشيد: الحضارة الإسلامية (نظم، علوم، فنون)، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 2004م، ص، 275.

6 - بناز اسماعيل عدو: المرجع السابق، ص، 181.

7 - محمد حبش: المسلمون وعلوم الحضارة، ط1، دار المعرفة، دمشق، 1995م، ص، 33.

وقد إشتغل العرب قديما قبل الإسلام بالتجارة، فنقلوا صادرات الشرق إلى الغرب والشمال إلى الجنوب والعكس، ومما نقله العرب نجد الكافور والصندل والكحول والقرنفل وجوز الطيب والعنبر وغير ذلك من المراهم والأشربة.<sup>1</sup>

ولما أصبح علم الصيدلة مرتبط بالنباتات والطب وصناعة الأدوية والبحث عن إستخراجها من الأعشاب، فقد بدأ إهتمام المسلمين بالطب والصيدلة منذ فجر الإسلام، فظهرت مدارس الطب والصيدلة في الأمصار الإسلامية وخاصة في البصرة والكوفة ودمشق وبغداد، وخاصة فيما يتعلق بالمستشفيات المتنقلة التي رافقت الجيوش الإسلامية الفاتحة لمعالجة الجرحى من المسلمين، إذ كانت الأدوية تصرف مجانا إلى سائر الناس في ميادين القتال والبوداي والقرى والمدن.<sup>2</sup>

كان الطبيب في فجر الإسلام صيدليا في نفس الوقت يصف الدواء ويعطيه للمريض ثم تطورت العلوم وتنوعت الدراسات، وأصبح الطبيب يختلف عن الصيدلي، وأقتضى التوسع في دراسة الصيدلة ( دراسة النباتات والمعادن والحيوان والكمياء) لأن الأدوية نباتية أو معدنية أو حيوانية تحتاج إلى نسب في التركيب.<sup>3</sup> والصيدلاني المحترف المحترف هو الذي يجمع الأدوية على أحسن صورها ويختبر الاجود من أنواعها مفردة ومركبة على افضل التراكيب التي خلدها له مبرزوا أهل الطب.<sup>4</sup>

1 -يوسف أرشيد: المرجع السابق، ص، 275.

2 يوسف أرشيد: المرجع نفسه، ص275.

3 -عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق، ص، 373.

4 -محمد حبش: المرجع السابق، ص، 34.

وبتأسيس الحوانيت لبيع الأدوية في بداية العصر العباسي الأول في خلافة أبي جعفر المنصور، سمح للصيدلي بمزاولة تحضير الأدوية بعد إجراء اختبار له كما هو الحال الذي كان يحصل مع الأطباء قبل مزاولة التطبيب.<sup>1</sup>

وتطور علم الصيدلة فوضعت له تصانيف للأدوية تسمى الدستور البيمارستاني ويتضمن هذا الدستور عدم السماح للصيدلاني بوصف دواء إلا بتذكرة من الطبيب أي روثنة فنقل إسحاق بن حنين كتاب (ديسقوريدس)<sup>2</sup> في الأدوية المفردة أي النباتات التي تستعمل دواء، وبرع المسلمون في تركيب الأدوية بنسب معينة ومن أقدم الصيادلة في الدولة الإسلامية، سرجون اليهودي الذي صنف كتاب قوى العقاقير ومنافعها ومضارها، ومن أبرز علماء الصيدلة كذلك كوهين العطار اليهودي الذي وضع كتاب الصيدلة، شرح فيه العقاقير شرحا وافيا وأوضح طريقة المشروبات والجرعات والمساحيق والحبوب وغيرها.<sup>3</sup>

و (يوحنا بن ماسويه) الذي كان طبيبا فاضلا خبيرا بصناعة الطب وله تصانيف مشهورة فكان مجلا عند الخلفاء قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة وخدم الأمين والمأمون وبقي على ذلك إلى أيام المتوكل وله عدة كتب منها كتاب في الأغذية كتاب في الأشربة وكتاب في تركيب الأدوية وآخر في دفع مضار الأغذية<sup>4</sup> و سابور بن سهل له كتاب الأقرباديين الكبير وقد إشتهل على التعريف بنحو عشرين نوعا من أنواع العقارات الدوائية

1 - يوسف أرشيد: المرجع السابق، ص، 275.

2 - ديسقوريدس : حكيم فاضل قال عنه جالينوس تصفحت أربعة عشر مصحفا في الادوية المفردة لأقوام شتى فما رأيت فيها أتم من كتاب ديسقوريدس، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ط1، دار المعارف، القاهرة، 2001م، ص، 104.

3 - عصام الدين عبد الرؤوف الفقي : المرجع السابق، ص، 373.

4 - ابن أبي صبيبة: المصدر السابق، ص، 203، 195.

البسيطة والمركبة وطرق تركيبها<sup>1</sup> وكان هذا الكتاب المعمول عليه في البيمارستانات ودكاكين الصيدلة وله كتاب آخر كتاب قوى الأطعمة و مضارها ومنافعها.<sup>2</sup>

أما حبيش بن الأعمش<sup>3</sup> فقد تم كتاب مسائل حنين في الطب الذي وضعه للمتعلمين وجعله مدخلا إلى هذه الصناعة ولحبيش بن الأعمش عدة كتب منها كتاب إصلاح الأدوية المسهلة كتاب الأدوية المفردة، كتاب الأغذية.<sup>4</sup>

وعليه فقد ازدهرت الصيدلة في بلاد الإسلام فترجموا كتب الصيدلة ودرسوها واستفادوا منها وضافوا إليها خلاصة تجاربهم وأفكارهم وأكتشفوا أدوية جديدة مثل الكافور والمسك والتمر هندي وجوز هندي والقرفة وهم الذين إخترعوا الكحول والمستحلبات والخلصات العطرية واستعملوا الأفيون وبعض النباتات المخدرة في التخدير.<sup>5</sup>

#### 4- الهندسة:

هو العلم الذي ينظر في المقادير أو المتصلة بالخط والسطح والجسم، وإما المنفصلة كالأعداد فيما يعرض لها من العوارض الذاتية مثل أن كل مثلث فزواياه مثل قائمتين، ومثل أن كل خطين متوازيين لا يلتقيان في وجه ولو خرجا على غير نهاية، ومثل أن كل خطين متقاطعين فالزاويتان المتقابلتان منهما متساويتان ومثل أن الأربعة مقادير المناسبة ضرب الأول منها في الثالث كضرب الثاني في الرابع وأمثال ذلك.<sup>6</sup>

1 - محمد حبيش: المرجع السابق، ص33.

2 - ابن أبي صبيعة: المصدر السابق، ص، 180.

3 - حبيش بن الأعمش: هو ابن أخت حنين بن اسحاق ومنه تعلم صناعة الطب وكان يسلك مسلك حنين، ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص، 244.

4 - المصدر نفسه، ص، 244.

5 - عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق، ص، 374.

6 - ابن خلدون: المصدر السابق، ص، 257.

وجاء تعريف الهندسة بانها فرع من فروع الرياضيات، وتتناول خواص الفراغ والعلاقات بين الأشكال الموجودة فيه ومن أنواعها: الهندسة المستوية والفراغية والكروية والتحليلية والوصفية والتفاضلية، أو هي علم يعرف منه أحوال المقادير ولواحقها وأوضاع بعضها عند بعض ونسبتها وخواص أشكالها وعليه يمكن تقسيم الهندسة إلى هندسة نظرية و هندسة تطبيقية اي دراسة علم عقود الأبنية وهو ما يرادف اليوم هندسة العمارة<sup>1</sup>.

وأعلم أن الهندسة تفيد صاحبها إضاءة في عقله وإستفادة في فكره، لأن براهينها كلها بينة الإنتظام جلية الترتيب لا يكاد الغلط يدخل أقيستها لترتيبها وإنتظامها فيبعد الفكر بممارستها على خطأ وينشأ لصاحبها عقل على ذلك المهيع<sup>2</sup>.

فاليونان لم يتركوا في الهندسة القديمة زيادة لمستزيد ولم يستطع أحد بعد (إقليدس) الذي دون علم الهندسة أن يزيد على هذا العلم شيئاً أساسياً<sup>3</sup> وإقليدس هو صاحب كتاب جو مطريا ومعناه الهندسة فكان مظهر للهندسة مبرزاً فيها وهو من الفلاسفة الرياضيين الكلام على كتابه الإسطروشيا ومعناه أصول الهندسة<sup>4</sup> نقله الحجاج بن مطر نقلين الهاروني والمأموني ونقله إسحاق بن حنين، واصلحه ثابت بن قرّة<sup>5</sup>.

وقد كان فضل العرب على الهندسة أنهم اهتموا بها حينما أهملتها الشعوب ثم حفظوها من الضياع فكان اهتمام العرب بالناحية العلمية من الهندسة أكثر من اهتمامهم بالناحية النظرية تشهد بذلك المباني والقصور التي نهضت في المشرق<sup>6</sup>.

1 - محمد حبش: المرجع السابق، ص، 53.

2 - ابن خلدون: المصدر السابق، ص، 257.

3 - أحمد علي الملا: المرجع السابق، ص، 157.

4 - ابن النديم: المصدر السابق، ص، 265.

5 - أحمد فريد رفاعي: عصر المأمون، ج1، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1927م، ص، 385.

6 - أحمد علي الملا: المرجع السابق، ص 158.

والكتاب المترجم لليونانيين في هذه الصناعة كتابه (أوقليدس) ويسمى كتاب الأصول ، وأول ما ترجم من كتاب اليونانيين في الملة أيام أبي جعفر المنصور ونسخه مختلفة باختلاف المترجمين فمنها لحنين بن إسحاق ولثابت بن قرة، ويشتمل على خمس عشرة مقالة أربع في السطوح وواحدة في الأقدار المتناسبة وأخرى في نسب السطوح بعضها إلى بعض وثلاث في العدد والعاشرة في المنطقات والقوى على المنطقات ومعناها الجذور وخمس في المجسمات.<sup>1</sup>

ولما كان الخليفة المأمون شغوفاً بالعلم سعى بشتى الطرق للحصول على كتب الحكمة المختلفة فكان يرسل العلماء إلى بلاد الروم وغيرها ليجلبوا له الكتب النادرة، وممن سافر إلى هذه الغاية النبيلة هم أولاد موسى بن شاعر فانهم أتبعوا انفسهم في طلب الكتب النفيسة وصرفوا مبالغ طائلة للحصول عليها واستدعوا النقلة من مختلف الأقطار ورجبوا بهم بالبذل الكبير، فترجموا لهم وكان الغالب على هذه الكتب كتب الهندسة.<sup>2</sup> ومن أشهر المؤلفين في هذا الحقل (ثابت بن قرة الحراني) صاحب كتاب استخراج المسائل الهندسية ثم ابنه (سنان بن ثابت) ثم (إبن عباس النيسابوري).<sup>3</sup>

تبقى حركة النقل والترجمة محدودة في تأثيرها إذ لم تتوفر لها الرعاية والتشجيع من قبل أركان السلطة بمختلف مستوياتهم، ذلك ان دور الحكم في نشر ثقافة معينة دور هام بحيث أنه يعطيها جواز المرور إلى أبنائه ورعاياه دونما حاجة إلى تستر والإختباء، وقد وفي أرباب الدولة في المرحلة الأولى بواجبهم، حتى لاقى موقفهم من حركة النقل

1 - ابن خلدون: المصدر السابق، ص، 257.

2 - حيدر قاسم التميمي: المرجع السابق، ص، 25.

3 - مصطفى علم الدين: المرجع السابق، ص، 260.

صدي الإستحسان والتقدير<sup>1</sup> وتطورت الحضارة العربية وتفتقت عبقریات علمية لم تكن لتظهر لولا إهتمام الخلفاء العباسيين بالعلم والترجمة.<sup>2</sup>

### المبحث الثاني: دور أهل الذمة في العلوم النقلية

إن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلًا وتعلیمًا هي على صنفين: صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره، وصنف نقلي يأخذه عن وضعه والأول هي العلوم الحكيمة الفلسفية وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء براهينها.<sup>3</sup>

والثاني وهو العلوم النقلية الوضعية وهي كلها مستندة إلى الخبر من الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول لأن الجزئيات الحادثة المتعاقبة لا تتدرج تحت النقل الكلي بمجرد وضعه فتحتاج إلى الإلحاق بوجه قياسي إلا أن هذا القياس يتفرع على الخبر بثبوت الحكم في الأصل وهو نقلي فرجع هذا القياس إلى النقل لتفرعه عنه.<sup>4</sup>

وتشمل العلوم النقلية علوم الدين والفرائض واللغة وعلم الكلام والأدب والتاريخ وكما كان لأهل الذمة دور في نقل وترجمة العلوم النقلية كان لهم أيضا دور في العلوم النقلية.

1 - مصطفى علم الدين: المرجع السابق، ص، 231.

2 - أمينة بيطار: المرجع السابق، ص، 393.

3 - ابن خلدون: المصدر السابق، ص، 355.

4 - المصدر نفسه، ص، 355.

## 1- الأدبية والتاريخية:

الأدب هو مجموع الكلام الجيد المروي شعرا ونثرا، أما الشعر فهو عبارة عن كلام موزون مقفى، وتمتاز النظم بجودة المعاني وإختيار الالفاظ ودقة التعبير، ومتانة السبك وحسن الخيال مع التأثير في النفس، ولا يخفى أن للشعر أهمية كبيرة لكونه إحدى الوسائل التي تعبر عن مكنونات النفس وإنفعالاتها من إعجاب ورتاء ومدح وفرح.<sup>1</sup>

وبدأت دراسات اللغة العربية من الصرف والنحو في البصرة على تخوم فارس، وكان الباعث الأول على ذلك حاجة الداخلين في الإسلام إلى تعلمها، غير أن هؤلاء أنفسهم قاموا فيما بعد بقسط وافر من هذه الدراسات، وكانت الرغبة الأولى الملحة هي تلقين الموالي اللغة العربية كي يفقهوا القرآن الكريم، ويشغلوا المناصب الإدارية ويخاطبوا الفاتحين بلغتهم<sup>2</sup> كما كان هؤلاء طليعة حركة الترجمة من الفارسية إلى العربية فأتقنوا اللغة العربية إلى جانب إتقانهم لغتهم الفارسية فعكفوا على قراءة الكتب الفارسية وتنفقوا منها و أخرجوا باللغة العربية أدبا وشعرا وعلماء.<sup>3</sup>

وقد أثر الأدب الفارسي في الأدب العربي من وجوه كثيرة فكانت نشأة هؤلاء نشأة فارسية وتأدبوا بالأدب الفارسي ثم صاغوا أدبهم في قالب العربي فأحكموا التقليد فألفاظهم عربية وتراكيبهم عربية وأوزانهم عربية ولكن هذا لا يمنع بعض المعاني الفارسية والخيال الفارسي والروح الفارسي كان يتسرب إلى نفوسهم وإلى شعرهم.<sup>4</sup>

وعلى إثر ذلك ظهرت يقظة فكرية في الإسلام، وترجع هذه اليقظة في معظم أسبابها إلى مؤثرات خارجية بعضها هندي أو فارسي أو سرياني وأكثرها يوناني وهي

1 -نباز اسماعيل عدو: المرجع السابق، ص، 167.

2 -فليب حتى: المرجع السابق، ص، 107.

3 -حسن أحمد محمود وأحمد ابراهيم الشريف: المرجع السابق، ص ص، 195، 196.

4 -أحمد أمين: فجر الاسلام، المرجع السابق، ص ص، 144، 145.

يقظة تعاظمت فيها حركة النقل إلى العربية، لأن العربي المسلم لم يكن لديه الشيء الوفير من العلم والفلسفة والأدب، ولكن كان يمتاز بذكاء طبيعي وبقوى عقلية دفيئة وبرغبة في الإطلاع على الجديد فأصبح بعد وقت قصير وريث حضارة الشعوب العريقة في القدم التي تغلب عليها وأحتك بها.<sup>1</sup>

فالهند مثلا إحتلت مكانة مرموقة في المجال الثقافي والعلمي في القديم لكونها غنية بالثقافة وزاخرة بالعلوم المختلفة والمعارف المتنوعة، فتركت الآداب والفنون الهندية بصمات واضحة على آداب الأمم المختلفة بما فيها العربية، فالكتب العربية تشهد أن العرب إستفادوا من الهنود في المجال الأدب وتأثروا بأفكارهم ورائهم الأدبية واقتبسوا منها في كتبهم الأدبية المهمة.<sup>2</sup>

وأهتم بعض العلماء بدراسة اللغة دراسة نحوية وصرفية، فكان من أبرز علماء النحو والصرف في العصر العباسي الأول ( الخليل بن احمد الفراهيدي) الذي دأب على دراسة اللغة وعلومها يخترع ويستنبط الأصول إلى أن كان أول من إبتكر المعاجم العربية، وأول من وضع علم العروض وأخترع علم الموسيقى العربية وجمع فيه أصناف النغم<sup>3</sup> وقد تعلم ( حنين بن اسحق) العبادي شيخ المترجمين وهو من نصارى الحيرة الذي إنتقل إلى البصرة وتلقى فيها العربية على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي.<sup>4</sup>

ومن الذين نبغوا في هذا العلم من أهل الذمة ( أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي)<sup>5</sup> كان أعلم بجمع العلوم، والغالب عليه أخبار العرب وأيامها، وكان يخطئ إذا

1 - فيليب حتى: المرجع السابق، ص، 122.

2 - ذكر الرحمن: <ثقافة الهند>، مجلة علمية ثقافية، مج 65، ع2، 2014م، ص، 11.

3 - ابراهيم أيوب: المرجع السابق، ص، 269.

4 - جرجي زيدان: تاريخ التمدن الاسلامي، ج3، المرجع السابق، ص، 169.

5 - أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي: من تيم قريش وهو مولى لهم كان أبوه يهوديا ولد أبو عبيدة سنة أربع عشرة ومئة وتوفي سنة عشر ومائتين، ابن النديم، المصدر السابق، ص، 53.

قرأ القرآن الكريم نظراً وبيغض العرب فألف في مثالبها كتباً، إستقدمه هارون الرشيد من البصرة إلى بغداد سنة ثمان وثمانين ومئة وقرأ عليه بها أشياء من كتبه.<sup>1</sup>

وقال أبو عبيدة: أرسل إليّ ( الفضل بن الربيع ) إلى البصرة في الخروج إليه فقدمت عليه فأذن لي فدخلت عليه وهو في مجلس طويل وأستدناني حتى جلست معه على فرشه وقال أنشدني فأنشدته من عيون أشعار أحفظها فطرب وضحك وزاد نشاطاً.<sup>2</sup>

وإن أبا عبيدة كان معه سوء عبارة مع فوائد كثيرة وعلوم جمّة، ولم يكن أبو عبيدة يفسر الشعر، فتعلم على يده ( أبو نواس )<sup>3</sup> وكان أبو عبيدة إذا أنشد بيتاً لا يقيم وزنه ولم يزل يصنف حتى مات وتصانيفه تقارب مائتي تصنيف منها: ( كتاب القبائل / وكتاب الخيل / وكتاب السيف / وكتاب الشعر والشعراء / وكتاب بيوتات العرب / وكتاب مآثر العرب ).<sup>4</sup>

أما ( أبو حاتم السجستاني )<sup>5</sup> فقد كان عالماً باللغة والشعر حسن المعرفة بالعروض كثيراً التأليف للكتب في اللغة يقول الشعر صادق الرواية، وله من الكتب كتاب ( ما يلحن فيه العامة ) كتاب (المذكر والمؤنث) وكتاب (المقصود والممدود) وكتاب

1 - ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج5، تح: إحسان عباس، ب د، ط، دار صادر، بيروت، د:ت، ص، 235

2 - ابن خلكان: المصدر نفسه، ص 236.

3 - أبو نواس: ولد في خوزستان من بلاد العجم ثم انتقل إلى البصرة ثم إلى بغداد ومدح الرشيد واتصل ببلاطه ونشأ أبو نواس في العصر الذهبي للخلافة العباسية كان فصيح اللسان، أنيس المقدسي: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ط17، دار العلم، بيروت، د:ت، ص، 104.

4 - ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج5، ص ص ، 237، 238، 239.

5 - أبو حاتم السجستاني: اسمه سهل بن محمد كان كثيراً الرواية عن ابي زيد وأبي عبيدة والاصمعي، للمزيد ينظر: ابن نديم: المصدر السابق، ص، 58.

المقاطع والمبادئ) وكتاب(القراءات) وكتاب (الفصاحة) وكتاب (الأضداد) وكتاب (الهجاء) وكتاب ( الإِدغام) وغيرها من الكتب.<sup>1</sup>

وقد أولى البرامكة عناية خاصة بالشعراء والأدباء وأنشأوا لهذا الغرض مؤسسة سموها (ديوان الشعر)، فكان الشعراء يرفعون أشعارهم في البرامكة فيسقطون ما يرون إسقاطه ويعرضون الحسن منه ويحددون مراتبهم ويقدرّون جوائزهم، فتهافت الشعراء على البرامكة طلباً لرفدهم قال الشاعر ( العتابي كلثوم بن عمرو التغلبي)<sup>2</sup>: ( إجتمعنا على باب الفضل بن يحيى البرمكي أربعة آلاف رجل يطلب كل بأدب وشعر وكتابه وشفاعة)، ومدح الشاعر ( أبو قابوس النصراني الحميري)<sup>3</sup> يحيى بقصيدة أشاد فيها بكرمه، فقضى يحيى حوائجه ووصله بجملة مال.<sup>4</sup>

ونبع كذلك من أهل الذمة الشاعر(مهيار بن مرزويه) الديلمي (ت420هـ/1039م)، الذي كان بارعا في الشعر وهو مجوسي وقيل أنه تربي على الدين الزرادشتي وفي شعره لطف وله قصائد الغزل والألغاز وأشعار متفرقة أما ( أبو تمام حبيب بن أوس الطائي بن الحارث بن قيس)<sup>5</sup> المولود سنة ( 192هـ/807م) كان أباه نصرانيا ونشأ في مصر وذهب إلى الموصل وأقام بها سنتين ونال فيها بعد مدة منصب رئاسة البريد<sup>6</sup> كان أوحد عصره ديباجة لفظه وفصاحة شعره وحسن أسلوبه وله كتاب (الحماسة) التي دلت على

1- ابن النديم: المصدر السابق، ص، 58.

2- العتابي: هو كلثوم بن عمرو العتابي التغلبي اختص بالبرامكة كان يقول بالاعتزال فعلم الرشيد بمذهبه وأمر بعقابه فهرب على اليمن، هاني ابو الرب: المرجع السابق، ص ن 231.

3- أبو قابوس النصراني: اسمه عمرو بن سليمان وكنيته أبو قابوس لزم وزراء بني العباس وكان كثير المدح للبرامكة، سمير طبي: المرجع السابق، ص، 86.

4- هاني ابو الرب: المرجع السابق، ص، 231.

5- أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس: واسمه جلهمة شاعر مشهور كان ابوه نصرانيا من أهل جاسم قرية من قرى دمشق والطائي نسبة إلى طيبي، ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج2، المصدر السابق، ص، 11.

6- بناز اسماعيل عدو: المرجع السابق، ص، 169.

غزارة فضله وإتقان معرفته وله مجموع آخر سماه ( فحول الشعراء)، وله كتاب ( الإختيارات من شعر الشعراء).<sup>1</sup>

وكان له من المحفوظ ما لا يلحقه فيه غيره، وقيل أنه كان يحفظ أربع عشرة ألف أرجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع، ومدح الخلفاء، وأخذ جوائزهم<sup>2</sup>، وكان الشاعر أبو تمام من المقربين للخليفة المعتصم (ت 227هـ/842م) ويلزمه ويصاحبه وكان ينشد له ويحضر مجالسه.<sup>3</sup>

واسع الإطلاع على الشعر العربي وشغوفاً به مشغولاً مدة عمره بتبحره ودراسته، وقد بنى أبو تمام بواسطة شعره علاقات واسعة برجال الدولة في عصره من الخلفاء والوزراء وغيرهم فمدح بعضهم وهجا بعضاً ورثى آخرين، ومن الذين مدحهم أبو تمام الخليفة المعتصم بالله فنال حظوته وحظوة أكابر دولته<sup>4</sup> وقد صحب الشاعر أبو تمام المعتصم بالله سنة 223هـ في فتح (عمورية)<sup>5</sup> فشهد بنفسه وقائعها وكتب شعراً فيها كان مطلعاً:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لاسود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب<sup>6</sup>

1- ابن خاكان: وفيات الاعيان، ج2، المصدر السابق، ص، 12.

2- المصدر نفسه، ص، 14.

3- نياز اسماعيل عدو: المرجع السابق، ص، 170.

4- خلف رشيد نعمان: شرح الصولي لديوان أبي تمام، ج1، ط1، سلسلة التراث، العراق، د:ت، ص ص، 23-25-

26؛ أنيس المقدسي: أمراء الشعر العربي العصر العباسي، ص، 185.

5- عمورية: بلدة حصينة في الاناطول كانت بيت الروم، أنيس المقدسي، المرجع نفسه، ص، 215.

6- أنيس المقدسي: المرجع نفسه، ص، 215.

وعليه فقد كانت كتابات هؤلاء الأدباء والشعراء من أهل الذمة شواهد تاريخية وثقت العديد من الأحداث في الدولة الإسلامية ومآثر رجالها وسببها في إنضاج وازدهار فنون الأدب والكتابة التاريخية، غير أنها رسمت رؤية غير إسلامية لهذا الواقع فضلا مما أصاب الأدب العباسي من تفسح وإنحراف وتسرب عدد من الألفاظ اليونانية والسريانية إلى اللغة العربية.<sup>1</sup>

## 2- التآليف الدينية:

إهتم العرب في مرحلة صدر الإسلام بعلوم الدين، وذلك لتحديد أحكام الشريعة ويرجع تركيز العرب في تلك الفترة على العلوم الدينية إلى تخوفهم من تطرق الخلل قبل تمكن الدين من قلوب العرب إذ أن الإسلام لا يزال في مرحلة النشأة، وكان من اللازم تجنب أي علم غير العلوم الشرعية حتى لا يلتبس الأمر على المسلمين، ومع مرور الوقت وإتصال المسلمين بغيرهم من الأمم حدث تمازج فكري روحي وإجتماعي.

وهناك من المفكرين العرب الغيورين على تراثهم الفكري وخوفهم من أن تمتد إلى هذا التراث يد الوضع والإنتحال والتزييف، فكان العرب في حاجة إلى مواجهة هذه الحركة، كما أن الفرق الدينية والتيارات السياسية المتضاربة كانت تمتد إلى التراث العربي لتلتمس منه ما يؤيد وجهة نظرها ويكسب نشاطها طابعا مشروعاً<sup>2</sup> فلم يسلموا بغير العقائد الأساسية كوحداية الله ورسله محمد صل الله عليه وسلم، ثم كانوا ينشرون آراءهم علنا ويهاجمون بها عقائد المؤمنين، والحق يقضى بالإعتراف للعرب بأنهم أول من أعطى عما نسميه حرية الفكر في الوقت الحاضر، فمع ما كان يبديه الفلاسفة من التحفظ الكبير في

1 - سمير طيبي: المرجع السابق، ص، 90.

2 - حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف: المرجع السابق، ص، 208.

كتبهم، كانت تبدو منهم، في الغالب، تأملات مشتملة على جانب كبير من الشك والإرتياب.<sup>1</sup>

ولما أعطى الخلفاء لغير المسلمين الحرية في ممارسة معتقداتهم الدينية، شرعوا في تدوين آرائهم وديانتهم القديمة والتي سعوا من خلالها إلى نشر الشرك والبدع وتشويه العقيدة الإسلامية من خلال غرس الأفكار الدخيلة.

ومن بين أهل الذمة الذين كان لهم دور في الكتابات الدينية نذكر: سعيد بن البطريق<sup>2</sup> الذي كانت له دراية بعلوم النصارى ومذاهبهم فألف كتابا في هذا المجال منها كتاب ( الجدل بين المخالف والنصراني) وكتاب ( نظم الجوهر) ثلاث مقالات كتبه إلى اخيه عيسى بن البطريق<sup>3</sup> المتطبب في معرفة صوم النصارى وفطهرهم وتواريخهم وأعيادهم.<sup>4</sup>

ومن أهل الذمة كذلك من علا نجمه وأصبح موضع ثقة الخلفاء وعنايتهم (سعيد بن يعقوب الفيومي) ويعرفه اليهود بإسم سعدية بن يوسف المصري رئيس مدرسة (سوزا) القريبة من بغداد، وهو أول من ألف من اليهود كتابا باللغة العربية ونشره في موضوع العقائد والعقليات، ومحور هذا الكتاب الذي يعد فتحا جديدا لليهود كما يعد دستورا لفرقة الريانية وأصحاب التلمود.<sup>5</sup>

1 -غوستاف لوبون: المرجع السابق، ص ص، 442، 443.

2 -سعيد بن البطريق: من اهل فسطاط مصر، وكان طبيبا نصرانيا مشهورا ولد سنة 263هـ، للمزيد ينظر: ابن ابي أصبيعة: المصدر السابق، ص، 493.

3 --عيسى بن البطريق: كان طبيبا نصرانيا مميز في جزئيات المداواة كان مقامة بمدينة مصر القديمة وتوفي بها، للمزيد ينظر: ابن أبي أصبيعة: المصدر نفسه، ص493.

4 -المصدر نفسه، ص، 493.

5 -محمد لطفي جمة: تاريخ فلاسفة الاسلام، ب د، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2014م، ص، 13.

أما ( ثابت بن قرة الصابي الحراني) نزيل بغداد فقد بلغ مع المعتضد أجل المراتب وأعلى المنازل، حتى كان يجلس بحضرته في كل وقت ويحادثه طويلاً، وله مصنفات كثيرة في التعليمات الرياضية والطب والمنطق وله تصانيف بالسريانية فيما يتعلق بمذهب الصابئة في الرسوم والفروض والسنن وتكفين الموتى ودفنهم وفي الطهارة و النجاسة، وما يصلح من الحيوان للضحايا وما لا يصلح، وفي أوقات العبادات، وترتيب القراءة في الصلاة<sup>1</sup>.

وساهم كذلك إلى جانب هؤلاء ( يحيى بن عدي)<sup>2</sup> المنطقي الذي كان عارفاً بالعلوم الحكيمة في وقته قرأ على يد أبي بشر متى ومذهبه على مذاهب النصارى اليعقوبية، كان جيد النقل كثير الكتابة، وله من الكتب ( رسالة في نقض حجج أنفذاها الرئيس في نصره قول القائلين بأن الأفعال خلق الله واكتساب للعبد) ومقالة في ( سياسة النفس)<sup>3</sup> وكتاب (هداية من تاه إلى سبيل النجاة)<sup>4</sup>.

ونستنتج من هذه الكتب أنها في معظمها كانت تدعوا إلى إحياء التعاليم الدينية القديمة وإغراء عامة الناس والجمهور على الأخذ بما جاء فيها من تعاليم هدامة فاسدة مليئة بالمغريات على إرتكاب المحرمات مستهدفين وراء ذلك تحطيم القيم الدينية الإسلامية، والنيل من سلطان العرب<sup>5</sup>.

1- ابن العبري: المصدر السابق، ص، 165.

2- يحيى بن عدي: هو من أهل المنطق في القرن الرابع للهجرة وهو يعقوبي المذهب خلافاً لأكثر المترجمين السريان إذ كانوا نساطرة، جرجي زيدان: تاريخ التمدن الاسلامي، ج3، ص، 166.

3- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص ص، 275، 276.

4- الشهرستاني: الملل والنحل، ج3، ب د، ط، دار الكتب العلمية، بيروت، دنت، ص، 520.

5- عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب العصر العباسي الأول، ج3، ب د، ط، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1995م، ص، 142.

ففي عهد المهدي ظهرت البدع الدينية وانتشرت كتب ماني فكثرت الزنادقة<sup>1</sup> وظهرت أراؤهم في الناس فامر المهدي اهل البحث من المتكلمين بتصنيف الكتب لإبطال تلك المذاهب<sup>2</sup> والتصدي للأفكار الدخيلة يكون عن طريق ترجمة الكتب التي يستندون عليها لمعرفة كيفية الرد عليهم، وفائدة هذه الكتب تكمن في تعليم أصول المجادلة وضرورة لازمة للتصدي للزندقة.

ففي العصر العباسي فالأخبار في الزندقة مستقيظة والمتهمون بها كثيرون والسبب في ذلك أن الزندقة في بعض معانيها الشك أو الإلحاد إنما الذي قد يثير هذه الشكوك مذاهب الكلام والجدال الديني حول المسائل الأساسية في الأديان وهذا كله وفيه جدا في العصر العباسي.<sup>3</sup>

والظاهر أن الزندقة كانت تشكل خطرا شديدا على المجتمع الإسلامي بإباحة الموبقات والمحظورات من جهة ولأن شيوع الزندقة كان في حد ذاته كفيلا بإضعاف الدين الإسلامي وبالتالي إضعاف سلطان الخليفة، وهدم أساس الدولة وتفسخ مقومات المجتمع.<sup>4</sup>

ومن هنا نستنتج أن الحضارة الإسلامية بإعتبارها حضارة إنسانية راقية تميزها أصولها الثابتة التي تستمدتها من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة متفردة بهذا بين

1 - الزنادقة: ظهر الزنادقة في عهد المهدي ويرجح أن كلمة زنديق مقتبسة من الاصل الآرامي صديق ثم أصبحت بالفارسية زنديك فعربت إلى زنديق بمعنى ملحد، للمزيد ينظر: عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص، 148؛ المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ص، 251.

2 - جرجي زيدان: المرجع السابق، ص، 157.

3 - أحمد أمين: ضحى الاسلام، ج1، ص، 157.

4 - عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص، 151.

الحضارات الأخرى، قدمت للعالم نماذج رائعة من العلم والفن من الأدب والأخلاق، نماذج تهذب الروح والوجدان.<sup>1</sup>

### 3- علم الكلام

هو علم يتضمن الحجة عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الإعتقادات على مذاهب السلف وأهل السنة، وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد، هذه أمهات العقائد الإيمانية معللة بأدلتها العقلية وأدلتها من الكتاب والسنة كثيرة، وعن تلك الأدلة أخذها السلف وأرشد إليها العلماء وحققها الأئمة إلا أنه عرض بعد ذلك خلاف في تفاصيل هذه العقائد، فدعى ذلك إلى الخصام والتناظر والإستدلال بالعقل وزيادة إلى النقل فحدث بذلك علم الكلام.<sup>2</sup>

أو هو البحث في أمور العقيدة الإسلامية مثل توحيد الله والكلام في ذاته سبحانه وتعالى وصفاته وأفعاله، ثم الكلام في الأنبياء والرسول، ويتناول كثير من كتب علم الكلام مسائل عصمة الرسل والإمامة، وقد يتعرض هذا العلم لمسائل غيبية كالبعث والحساب والجنة والنار وغير ذلك ثم يعرض هذه المسائل على مقاييس العقل والمنطق في معرض جدلي كلامي منطقي، وبعد علم الكلام أساس الفلسفة الإسلامية، كما يعد وليد النهضة الثقافية الإسلامية التي تأثرت بثقافات، اليونان والفرس والسريان في العصر العباسي الأول<sup>3</sup> وسمي هذا العلم الذي يبحث في العقائد والأدلة العقائدية والرد على المخالفين بعلم الكلام، وسمي المشتغلون به بالمتكلمين والظاهر أن إطلاق هذا الإسم على هذا العلم كان في العصر العباسي وعلى الأرجح في عصر المأمون.<sup>4</sup>

1 -فتيحة النبراوي: تاريخ النظم والحضارة الاسلامية، ط14، دار الفكر، القاهرة، 2014م، ص، 303.

2 -ابن خلدون: المصدر السابق، ص ص، 373-377-378.

3 -أمينة بيطار: المرجع السابق، ص، 380.

4 -أحمد أمين: ضحى الاسلام، ج3، ط7، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د:ت، ص9.

كثر البحث في العقائد في ذلك العصر وتشعب وأتخذ ألوانا جديدة لم تكن أيام النبي صل الله عليه وسلم ولا الأولين من صحابته، وأخذت هذه البحوث تتركز ليتكون منها علم جديد يساير العلوم التي نشأت في هذا العصر، وقد تعاون على نشوئه وإرتقائه أسباب كثيرة: بعضها داخلي، وبعضها خارجي.<sup>1</sup>

وقد حمل المعتزلة لواء علم الكلام الذي سيطر على الفكر الإسلامي ومن أشهر متكلمي المعتزلة واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وكلاهما تلميذا للحسن البصري وأبو الهذيل العلاف (ت235هـ).<sup>2</sup>

وأقترن إسم المأمون بتلك النهضة الفكرية التي إزدهرت في العصر العباسي الأول بوجه عام وفي عصر المأمون بوجه خاص، وذلك لأنه شارك فيها بنفسه حتى قيل أنه أعلم الخلفاء بالفقه وعلم الكلام وأنه فيلسوف الخلفاء وحكيم بني العباس<sup>3</sup> لأنه إشتغل بالعلم وأمعن فيه وجالس كثيرا من العلماء وأخذ عنهم جملة صالحة من العلوم الدينية كالحديث والتفسير واللغة العربية، اما العلوم الدينية فمنها ما يرجع لأصل الدين وهو علم الكلام.<sup>4</sup>

فأهتم المأمون بجمع تراث الأمم القديمة الأخرى وخاصة التراث اليوناني<sup>5</sup> وما يؤكد ذلك ( أنه رأى في منامه رجل أبيض اللون مشربا حمرة واسع الجبهة مقرون الحاجب، أحلج الرأس، أشهل العينين، حسن الشمائل جالس على سريره فقلت من انت؟، فقال: أنا

1- أحمد أمين: المرجع السابق، ص، 1.

2- أمينة بيطار: المرجع السابق، ص، 380.

3- أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ب د، دار النهضة ، بيروت، د:ن، ص، 108.

4- محمد الخضري بك: المرجع السابق، ص، 193.

5- أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص، 108.

(أرسطاليس)<sup>1</sup> فسررت به، فكان هذا المنام وأكد الأسباب في إخراج الكتب فان المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات وقد إستظهر عليه المأمون فكتب إلى ملك الروم يسأله الإذن في إنفاذ ما من مختار من العلوم القديمة المدخرة ببلد الروم فأجاب إلى ذلك بعد إمتناع.<sup>2</sup>

فكان من أهل الذمة ممن ترجموا كتب الحكمة ( حنين بن اسحاق) الذي دخل بلاد الروم وجد في تحصيل كتب الحكمة وبذل غاية إمكانه في ذلك، كما أنه إغتتم فرصة وجوده في بلادهم وتعلم اللغة اليونانية وعاد إلى بغداد ومعه تحف نادرة من كتب الحكمة فترجم جمهورية أفلاطون والمقولات والطبيعات والخليقات لأرسطو.<sup>3</sup>

و( متى بن يونس) المنطقي النصراني عالم بالمنطق شارح له وهو نسطوري النحلة ترجم الكثير من كتب الفلسفة اليونانية ففسر كتاب أرسطو في المنطق<sup>4</sup>. أما أبو علي بن زرعة<sup>5</sup> فكان أحد المتقدمين في علم المنطق وعلوم الفلسفة والنقلة المجدين ومولده ببغداد في ذي الحجة إحدى وسبعين وثلثمائة ونشأ بها وكان كثيرا الصحبة والملازمة ليحيى بن عدي<sup>6</sup> له كتاب إختصار كتاب أرسطاليس ومقالة كتاب أغراض كتب كتب أرسطاليس المنطقية ومقالة أخرى في العقل<sup>7</sup>. و( ابن بطلان)<sup>8</sup> النصراني من أهل

1 -أرسطاليس: ومعناه محب الحكمة ويقال الفاضل الكامل وهو أرسطاليس ويقال انه نظر في الفلسفة بعد أن أتى من عمره ثلاثون سنة، ابن النديم، المصدر السابق، ص، 248.

2 -ابن نديم: المصدر نفسه، ص، 244.

3 -حيدر قاسم التميمي: المرجع السابق، ص، 26.

4 -ابن العيوي: المصدر السابق، ص، 285.

5 -أبو علي بن زرعة: هو أبو علي عيسى بن اسحاق بن زرعة بن مرقس بن زرعة بن يوحنا، ابن أبي أصبغة: المصدر السابق، ص، 283.

6 - المصدر نفسه، ص، 276.

7 -ابن نديم: المصدر السابق، ص، 264.

8 -ابن بطلان: هو ابو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون بن بطلان، ابن ابي أصبغة: المصدر السابق، ص، 283.

بغداد كان قد إشتغل على يد أبي الفرج عبد الله بن الطيب وتتلذذ له وأتقن عليه قراءة كثيرة من الكتب الحكمية وغيرها، وكان ابن بطلان اعذب الفاظ وأكثر ظرفا وله أشعار كثيرة ونوادر ظريفة ولإبن بطلان من الكتب ( كتاب الأديرة والرهبان ) كتاب ( شراء العبيد ) ( وتقليب المماليك والجواري ) وكتاب في ( تفسير الالهيات لأرسطو).<sup>1</sup>

هذا وقد لعبت المناظرات والمجالس العلمية دورا مهما في تنشيط وتطوير الحركة الثقافية وتأليف الكتب الجدلية واللاهوتية، ومن أوائل الخلفاء العباسيين الذين خصصوا أوقاتا خاصة بها، هو الخليفة المأمون الذي إهتم بالمجالس كثيرا مع وجهاء الدولة والعلماء وأهل الملل والنحل في عصره ولم يقف دور الخليفة عند هذا الحد بل أنشأ مجلسا إستشاريا للدولة يتألف من ممثلي جميع الطوائف الدينية.<sup>2</sup>

وأصبح الديوان مجلسا علميا وثقافيا يضم المسلمين واليهود والنصارى والصائبيين والزرادشتين على حد سواء، وكانت حرية الإعتقاد والعبادة مضمونة وممنوحة يتمتع بها الجميع على مسافة واحدة<sup>3</sup>، وأزدهرت المناظرات في هذا العصر تبعا لإزدهار الشغف العلمي وطمعا في منائح الخلفاء ونيل الحظوة عندهم ورغبة في الوصول إلى الحق، حيث كان مجال المناظرات فسيحا من الناحية العلمية، وإذا كان الخلفاء والأمراء يساهمون في الحرية العلمية ويشتركون في الراي ويؤيدون بعضا ويفندون بعضا إستعد العلماء للمناظرة وتسلموا لها رغبة في الشهرة والحظوة كان هذا وقودا صالحا لإشعال نار المناظرة<sup>4</sup>. وفي هذه المناظرات يسود الإحترام المتبادل بين المتناظرين، وكانت المحبة تسود بين المثقفة المسلمة وأهل الذمة دون تجريح أحد لمشاعر الآخر بسبب الإختلاف في الدين

1 - ابن ابي اصيبعة: المصدر السابق، ص ص، 283، 284، 285.

2 -نباز اسماعيل عدو: المرجع السابق، ص ص، 186، 187.

3 -المرجع نفسه، ص، 187.

4 -أحمد أمين: ضحى الاسلام، ج2، ب د، ط، الهيئة المصرية العامة، 1998م، ص، 54.

والمذهب<sup>1</sup>. ولما كان المأمون شغوفاً بالعلم والمناظرات فقد كان يسمع بأذنيه كليتهما أي أنه كان ممن يسمع الرأي والرأي الآخر حتى لو تعلق الأمر بالسلطة العباسية فكثرت المدارس والاتجاهات الفلسفية والعقائدية وازدهر علم الكلام، ويتضح من هذا أن المأمون أباح علم الكلام، فكان هدفه من وراء تلك المناظرات تقريب وجهات النظر بأن يطلع كل واحد على ما عند الآخر من حجج وبراهين قد تكون فاتت عليه ولم يتفطن إليها<sup>2</sup>.

وعلى كل حال كانت هذه المجالس والمناظرات سبباً كبيراً من أسباب الرقي العملي، فقد حفزت العلماء للبحث والنظر وحملتهم على الجد في تصفية المسائل حتى يظهروا في هذه المجالس مظهر الخبير الدقيق النظر<sup>3</sup>.

وفي الأخير يمكن القول أن المسلمين إستفادوا من أهل الذمة في ترجمة كتب الحكمة التي أكسبتهم فن الجدل الذي إستخدموه في الرد على أقوال الخارجين عن الدين والمنحرفين، ولا يحفى عنا أن أهل الذمة كلهم ساهموا في إثراء الجانب العلمي، بل يوجد منهم من سعى إلى بث بعض بذور عقائدهم القديمة والمخالفة للدين الإسلامي.

#### 4- الفنون :

إختلف العلماء والفلاسفة حول تعريف الفن، ولكن أبسط هذه التعريفات هي ما يخرج الإنسان من عالم الخيال إلى عالم الحسي، أو هي تغيرات داخلية في النفس إذ استطاع الإنسان، أن يخرجها إلى الناس ليحدث في النفس إعجاب أو دهشة<sup>4</sup>.

1 -بناز اسماعيل عدو: المرجع السابق، ص، 188.

2 -عبد عون الروضان: موسوعة تاريخ العرب تاريخ، ممالك، دول حضارة، ج2، ط2، دار الاهلية، الأردن، 2007م، ص ص، 255، 256.

3 -أحمد أمين: ضحى الاسلام، ج2، ص، 59.

4 -علي احمد الطائش: الفنون الاسلامية المبكرة ( في العصرين الاموي والعباسي)، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ص2.

فالتحسن المادي يلعب دور كبير في تطور العمران وإزدهار الفنون في مختلف حواضر الدولة العباسية في العهد العباسي، و كانت بغداد وسامراء مقصدا لكل نابغ في فن، كما تمتع أهل الملل والنحل بحقل خصب تبرز فيه مواهبهم، ففي العصر العباسي تعددت أشكال الفنون وتتنوعت أبرزها:

### 1-الموسيقى:

عرف ابن خلدون علم الموسيقى بقوله أن علم الموسيقى هي تلحين الأشعار الموزونة يقطع الأصوات على نسب منتظمة معروفة، يوقع على كل صوت منها توقيعا عند قطعة فيكون نغمة<sup>1</sup>، والمشهور أن العرب كان عندهم من الألحان ما يوافق سذاجتهم، فلما ظهر الإسلام واختلطوا بالروم والفرس إقتبسوا عن تلك الأمم.<sup>2</sup>

إن الغناء في العصر العباسي كان إمتداد لما كان عليه في العصر الأموي، وهو كيفية العلوم التي ورثها العباسيون عن الأمويين وإرتبطت الموسيقى بفن ( الطرب ) والغناء وعرفت تقدم خاصة في القرنين الثالث والرابع الهجريين.

فقد صنف ثابت بن قرّة الصابي المتوفي عام 288، عدة كتب في علم الموسيقى وأهمها كتاب في < آلة الزمر > وله كتاب في موسيقى الذي يشمل خمسة عشر فصلا عن رسالة في علم الموسيقى.<sup>3</sup>

ومنها فإن الموسيقى في بادئ الأمر إستندت على مصنفات اليونان الموسيقية التي نقلت على يد تراجمة أهل الذمة، كما أن علماء المسلمين لم يمنعهم ذلك من التطور والتجديد.<sup>4</sup>

1 -ابن خلدون: المصدر السابق، ص512.

2 -جرجي زيدان: المرجع السابق، 218.

3 - ابن أبي اصيبعة، المصدر السابق، ص257.

4 -ابن النديم: المصدر السابق، ص524.

فالمغنون في الدولة العباسية من أحاسن أهل الأدب وفيهم من يحسن الفقه فضلا عن الأدب واللغة، كإبراهيم بن اسحق الموصلي، أما الآلات الموسيقية أخذوا أكثرها عن الفرس والروم والهند.<sup>1</sup>

غير أن العباسيين حسنوا حالة موسيقيهم وأسبقوا النغم على كبار العازفين في عصرهم وصار بلاط هارون الرشيد ملتقى لكوكبة كاملة من الفنانين الموسيقيين.<sup>2</sup> فقد كان للخلفاء العباسيين مجالس للغناء واللهو وثبت أن هذه المجالس أخذت عن الفرس.<sup>3</sup>

كما أننا ندين للفارابي<sup>4</sup> المتوفي عام 339هـ برسالة شهيرة في الموسيقى، فكان أول من قدم تفسيراً فيزيائياً لظاهرة الصوت الذي يصدر عن تموجات، ومن خلال هذه الملاحظات التجريبية سمحت له بوضع قواعد اللازمة لصنع الآلات الموسيقية.<sup>5</sup> وملخص القول أن الموسيقى العربية احتفظت لنفسها بطابع العربي الشرقي في الإيقاع والنغم وذلك بفضل مزايا وجهود العلماء المسلمين بالإضافة إلى جهود تراجمه أهل الذمة في الدولة العباسية.

1 - جرجي زيدان: المرجع السابق، ص 524.

2 - جاك ريسلر: الحضارة العربية، ط 1، منشورات عويدات، بيروت، 1993، ص، 111.

3 - أحمد أمين: المرجع السابق، ص 144.

4 - هو أبو نصر محمد ( 870هـ/950م)، المعلم الثاني وشهرته الفارابي نسبة لمسقط رأسه فاراب من أعمال خراسان، توفي في : 339هـ.، للمزيد ينظر: أحمد محمد الشنواني: موسوعة عباقرة الحضارة العلمية في الاسلام، ط 1، مكتبة دار الزمان ، 2007م، ص 270.

5 - جاك ريسلر: المرجع السابق، ص 114.

## 2-التصوير والزخرفة:

لقد ورث الفن الإسلامي رسوم الكائنات الحية وخاصة الحيوانية من الفنون التي سبقتها وخاصة الفن الساساني، كما إنفرد عن غيره من الفنون، بسميزات عامة والتي لاقت ترحيباً من حيث البعد عن الطبيعة والتجريد واختص بتنوع كبير في الأشكال والتكوينات الزخرفية<sup>1</sup>، ومنه فإن الفنان المسلم في مجال إبداعه الفني المنسجم مع الفكر الإسلامي فهو مدرك لنواهي الدين الإسلامي.

إشتهر من بين أهل الذمة الكثير في ميدان الآداب والفنون، حيث ظلت علاقات العرب برعاياهم في ميدان الآداب والفنون علاقة طيبة.<sup>2</sup>

فقد عرف المجتمع العباسي إمتزاج الفن العربي بفن العناصر الاجنبية ومن بينهم فن أهل الذمة، حيث زخرفت أبنية وقصور الخلفاء في بغداد وسامراء بفصوص الفسيفساء<sup>3</sup>، فقد انتشر استعمال الفسيفساء في زخرفة الأبنية من الداخل والخارج.<sup>4</sup>

ففي العصر العباسي، اقبل العباسيون على استخدام الرسوم الأدمية والحيوانية في تزيين قصورهم ومجالسهم، وتكشف لنا حفائر سامراء، صور مائتة مرسومة على الجص، ولاسيما صور في أجنحة الحريم، وقد استمد لهذا الفن من الفن الساساني<sup>5</sup>.

1 - علي أحمد الطائش: المرجع السابق، ص22.

2 - علي حسن الخربوطلي: مرجع السابق، ص146.

3 - الفسيفساء: نوع من الزخرفة يقوم على تكوين أشكالاً فنية مختلفة تحمل بواسطة قطع أو فصوص صغيرة من مواد متعددة ذات ألوان كالرخام والحجر، وازدهر هذا الفن عند الرومانيين والبيزنطيين، عاصم محمد رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط 1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000م، ص214.

4 - فيليب حتى: تاريخ العرب، دار العلم للملايين، بيروت، 1991، ص163.

5 - علي أحمد طائش: مرجع السابق، ص22.

أما زخرفة الحمامات فلم تكن إسلامية بالكلية، ففي حمامات سامراء كانت الدرجات تزين بالصور بدل من البلاط، وهذه العادات كانت بالشام، وترجع إلى الحضارة اليونانية.<sup>1</sup>

كما شهد في العصر العباسي كذلك إزدهار الفنون الصناعية ولا سيما في بغداد ومصر، فهناك الكثير من أهل الذمة لعبوا دور في الصناعة الخزفية والنسجية وكان هناك من المجوس الذين وفدوا إلى بغداد وقاموا بالنقش على الزجاج وتلوينه<sup>2</sup>، فالفنون الصناعية تشمل عادة صناعة الخزف والزجاج الفني والفسيفساء والتجارة والصبغة.<sup>3</sup>

ومنه فإن الحضارة العباسية قد شهدت تنوع في الفنون بين التصوير والرسم والزخرفة، بل إن هذه الفنون كلها اجتمعت في تزيين الحضارة الإسلامية، كما انها لم تفرق بين فنان المسلم والذمي، فالفن الإسلامي تميز بمميزات عامة وأخذت هذا الفن من الفنون السابقة، واحتفظ لنفسه بخضوعه إلى اخلاقيات الشريعة الإسلامية في كثير من الاحيان.

ونستخلص في الأخير أن إختلاط العرب بأهل الذمة تعتبر قفزة نحو التقدم وذلك من خلال إدراك أن هؤلاء علما غير العلم الذي عرفوه، وأن علوم الأمم المتحضرة هي مفيدة في معرفة ثقافات هذه الأمم.

### المبحث الثالث : نتائج التواصل الثقافي بين أهل الذمة والدولة العباسية

يركز معظم المفكرين والفلاسفة على أهمية عودة الشعوب إلى تراثها والحفاظة عليه والإنطلاق منه للإطلاع على منجزات الحضارة الإنسانية والأخذ منها بما يناسب

1 - آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت، ط5، ص224.

2 - علي أحمد طابش: مرجع السابق، ص94.

3 - غوستاف لوبون: المرجع السابق، ص507.

هذا التراث لبناء المستقبل الحضاري وفقا لمبدأ عدم الإنغلاق التام والانفتاح التام بحيث نزيل جميع الأبواب والسقف فنكون عرضة لمهب الريح، بل يجب التفاعل مع بقية الأمم والشعوب مع المحافظة على الأصالة.<sup>1</sup>

كان لإختلاط الدولة العباسية بالشعوب الأخرى أن نقلت إليهم خير حضارتها وشره، فبعد أن دخلها الكثير من الأجناس على مختلف طبقاتهم وعاداتهم وثقافتهم فكان بها العربي والفارسي والتركي والخراساني والرومي وغيرها من الأجناس.. .

وعلى الرغم من الدور البارز الذي لعبه أهل الذمة في رقي الحضارة الاسلامية خاصة في المجال الثقافي، إلا أنه لم يسلم من الآثار السلبية.

### 1-مجالات التأثير الإيجابي:

#### أ-في مجال اللغة:

\*-إمتزاج سائر الأمم بالعرب أدى إلى التزاوج قدم جديد فيه خصائص العربي والعجمي وإنتاج في كل ميدان وفن.

\*-رغبة الأعاجم في تعلم اللغة العربية: لغة حكام ولغة القرآن ولغة الدواوين.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - محمد عبد الله عودة وآخرون: مختصر التاريخ الإسلامي، ب د، ط، دار هومة، عمان، 1989م، ص، 3.

<sup>2</sup> - محمد ضيف الله: محاضرات في تاريخ الحضارة العربية، ب د، ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص، 101.

\*-أصبحت اللغة العربية لغة علم ولغة تخاطب، فتسربت مجاري التفكير في الثقافات اليونانية والفارسية والهندية إلى بغداد فأصبحت اللغة العربية، أداة للتعبير<sup>1</sup>.

### ب-في المجال الثقافي:

\*سعي الخلفاء في نقل تراث الأمم الأخرى إلى اللغة العربية ليبرهنوا على وجودهم ويتقدموا بحضارتهم، ليضاهوا الأمم السابقة التي اشتهرت بأمجادها<sup>2</sup>.

\*قيام العرب بالحفاظ على آثار الحضارات السابقة، فأتاحوا العلماء العصور الحديثة الفرصة بالاطلاع على علوم العصر القديم، كما أنهم أضافوا إلى هذه الكتب ملاحظات حتى جاء جيل من الكتاب المسلمين أنتجوا مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم<sup>3</sup>.

\*نتج عن حركة النقل والتعريب اتساع الثقافة العربية بما دخل عليها من ثقافات الأمم وإطلاع العرب على علوم كانوا في حاجة إليها كالرياضيات والطب، حيث أدت إلى ارتقاء وتقديم العربية الإسلامية<sup>4</sup>.

\*وجد المسلمون في العراق خدمات طبية راقية خاصة في مدرسة جنديسابور المسيحية النسطورية والتي إستند التعليم (الطبي فيها على كتب جالينوس)<sup>1</sup>.

1 - فيليب حتى: المرجع السابق، ص، 145.

2 - محمد ضيف الله: المرجع السابق، ص ، 101.

3 - أمينة بيطار: المرجع السابق، ص، 393.

4 - شوقي أبو خليل: الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن حضارات السابقة، ط1، دار الفكر، دمشق، 1994م، ص، 445.

\* أصبحت مصنفات ثابت بن قره الصابي، المتوفي في عام (288هـ)، مرجعا لكثير من علماء المسلمين وتم الاعتماد عليها في جميع مدارس الدولة الإسلامية.<sup>2</sup>

### ج- في المجال الديني:

\* تعايش اليهود والنصارى مع المسلمين، مما خلق جوا من التسامح لم تعرفه أوروبا في العصور الوسطى، أدى إلى ترابط المجتمع الواحد وانتشار السلام.<sup>3</sup>

\* قويت الروابط الاجتماعية بين المسلمين وأهل الذمة ومما يدل على ذلك مشاركة المسلمين الذميين في الاحتفال بأعيادهم ومناسباتهم بحرية تامة، فكان بعض الخلفاء العباسيين يقومون في بعض الأحيان بحضور مواكبهم وأعيادهم.<sup>4</sup>

## 2- مجالات التأثير السلبي:

### أ- في المجال الاجتماعي:

\* وهناك عوامل اجتماعية وأخلاقية كان لها مفعولها في تفكيك عرى الدولة وتجزئتها، فاختلاط دم العرب الفاتحين بدم الموالي أفقده خصائصه الذاتية وأدى

1 - ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص، 109.

2 - المرجع نفسه، ص، 299.

3 - آدم ميتز: المرجع السابق، ص، 173.

4 - نريمان عبد الكريم محمد: المرجع السابق، ص، 155.

إلى ضياع سلطة الغالب، وأخذت السيادة تنتقل تدريجياً إلى أيدي الأمم المغلولة حتى صارت لهم بكاملها.<sup>1</sup>

ومن أسباب انحطاط العرب أيضاً: اختلاق العروق التي خضعت لسلطاتهم، فكان اختلاط مختلف الأمم في دولة واحدة عامل انحلال قوي.<sup>2</sup>

\*انتشار الترف والبذخ بما فيه الإسراف في الشرب والغناء فكل هذه العوامل وغيرها امتصت حيوية الأسرة المالكة فنتج عن ذلك ظهور أولياء عهد ضعاف الأجسام والنفوس<sup>3</sup> حيث أن بعض خلفاء العصر العباسي الأول انصرفوا إلى إقامة مجالس اللهو والشراب والغناء وانشغلوا بها عن النظر بأنفسهم في أمور الدولة تاركين هذه الشؤون إلى بعض أعوانهم من كبار الموظفين<sup>4</sup> ويقول ابن خلدون: أن الأمة إذا تغلبت وملكت ما بأيدي أهل الملك قبلها كثرت نعمتها وعوائدها وتجاوزت ضرورات العيش وخشونته.<sup>5</sup>

\*إقبال المجتمع العباسي بشراهة وفهم زائد على عادات وتقاليد الفرس دون تمحيص وغرلة بما يتفق وأصوله العربية، فتسابق الخلفاء إلى الانغماس في الترف واللهو كما تفننوا في مجالس الغناء والشراب والرقص، لهذا إنساق الرعايا

<sup>1</sup> - فيليب حتى: المرجع السابق، ص، 203.

<sup>2</sup> - غوستاف لوبون: المرجع السابق، ص ص، 634، 635.

<sup>3</sup> - فيليب حتى: المرجع السابق، ص 204.

<sup>4</sup> - ابراهيم ايوب: المرجع السابق، ص ، 101.

<sup>5</sup> - ابن خلدون: المصدر السابق، ص، 131.

في هذه الحياة مقلدين ملوكهم، فتأنق القادرون منهم في المأكل والمشرب، وكثرت مجالس الشرب والغناء التي خالطها ألوان من الخلاعة والمجون.<sup>1</sup>

ويعود سبب إنتشار مظاهر اللهو والمجون في المجتمع المشرقي عامة والبغدادي خاصة إلى من الأسباب على رأسها توقف الفتوح الإسلامية وكثرة أوقات الناس، إضافة إلى توفر وسائل اللهو من جوار وغلمان وشراب.

\*كثرة النفقات وإسراف الخلفاء ونسائهم خصوصا في عصر الرشيد والمأمون فافتتوا الجواري وبنوا المنتزهات والقصور والمدن واقتنوا كذلك الندماء<sup>2</sup> وأطلقوا أيدي أمهاتهم ونسائهم في الأموال.<sup>3</sup>

\*سيطرة الجواري والقهرمانات<sup>4</sup> على أمور داخل وخارج دور الخلافة مثل الجارية خيرزان التي فرضت سيطرتها على كل من الخليفة الأب المهدي والانباء الهادي والرشيد.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - إبراهيم أيوب: المرجع السابق، ص، 205.

<sup>2</sup> - الندماء: تعني المجالسة والجليس فننادمة الرجل للأخر تعني مجالسته للشراب، قويدر بشار: دور أسرة البرامكة في تاريخ الخلافة العباسية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1985-1986م، ص197.

<sup>3</sup> - جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ج1، المرجع السابق، ص379.

<sup>4</sup> - القهرمانات: هي لون من ألوان الجواري في المجتمع العباسي، مع أنها أرفع منزلة وشأنا من الجواري تعود أصول الجواري والقهرمانات إلى أجناس مختلفة، سولاف فيض الله حسن: دور الجواري والقهرمانات في الخلافة العباسية، ط1، دار مكتبة عدنان، دمشق، 2013م، ص، 48.

<sup>5</sup> - سلاف فيض الله حسن ، المرجع نفسه، ص، 56.

فكانت أم الخليفة المقتدر تشترك في إدارة الدولة وتصدر الأوامر والمراسيم وتجلس في أيام الجمع للمظالم يساعدها عدد من الأعيان والقضاة<sup>1</sup>، على أن تسلط النساء في الدولة العباسية كان على معظمه في أيام الخليفة المقتدر لأن أكثر أولئك النساء من غير العرب.<sup>2</sup>

### ب- في المجال الديني:

\* ظهور الزندقة وكثر الزنادقة الماجنين والملحدين الذين انساقوا إليها على دفعات بادئين بالتهتك ثم الخروج عن الدين إلى الإلحاد حتى غدت الزندقة متفشية في المجتمع العباسي.<sup>3</sup>

\* لقد مهدت الأفكار المتعددة التي طرحها الأعاجم في المجتمع وفيها من مضامين تحمل في خفاياها الطعن والتشكيك والإتهام للنفوس الحاقدة من الأعاجم إلى إحياء المشاعر القومية والدينية.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - محمد عبد الله عودة وآخرون: المرجع السابق، ص، 95.

<sup>2</sup> - جرجي زيدان: تاريخ التمدن الاسلامي، ج4، ص، 187.

<sup>3</sup> - ابراهيم أيوب: المرجع السابق، ص، 206.

<sup>4</sup> - شحادة الناظور: المرجع السابق، ص، 307.

# الخاتمة

بعد دراستنا لهذا الموضوع توصلنا إلى النتائج التالية :

\*المسلمين الاوائل أرسوا في البلدان التي فتحوها مبادئ الدين الاسلامي، ومع تعدد ثقافات هذه الشعوب وتتنوع تراثها تشكلت حضارة جديدة ميزت مجتمعات العالم الاسلامي التي وجدت طريقها لتحقيق منجزات حضارية عظيمة في التاريخ البشري وكان ذلك على عهد الدولة العباسية التي فسحت المجال لعناصر من الاجناس الأخرى فأحتلت الصدارة في المجتمع.

\*إن ما ميز المجتمع الاسلامي، هو أنه تكون من أجناس مختلفة في عاداتها وتقاليدها وتراثها الحضاري، وفضلا عن ذلك تميز بالتسامح الديني الذي مكن عناصر سكانية غير مسلمة من أن تحظى بالحرية التامة في ممارسة شعائرها الدينية.

\*عاش أهل الذمة من يهود والنصارى والصابئة والمجوس مع المسلمين في ظل سياسة التسامح الديني، ونقصد بأهل الذمة سكان البلاد المفتوحة الذين لم يدخلوا الاسلام فكان عليهم أن يدفعوا للمسلمين ضريبة بسيطة تعرف بالجزية، يدفعها القادر ويعفى منها الشيخ والمرأة والطفل ورجل الدين، مقابل حماية الدولة الاسلامية لهم.

\*كانوا أحرار في ممارسة الاعمال التي يرغبون فيها.

\*إهتم الخلفاء العباسيون بأهل الذمة عناية ورعاية حيث عاملوهم معاملة حسنة حفاظا على حياتهم وممتلكاتهم وحررياتهم الدينية.

\*كان التسامح الديني سمة واضحة في سياسة الخلفاء تجاه أهل الذمة، والدليل على ذلك إنخراطهم في بعض الوظائف الادارية، فضلا عن إسهامهم في مجالات شتى منها المشاركة في الحياة الثقافية.

\*كان نصيب أهل الذمة ملحوظا لا سيما في حقل الترجمة والطب وهذا يعود إلى العمل الذي قام به الخلفاء العباسيون الذين شجعوا الترجمة والمترجمين.

\*ظهر عدد من العلماء والأطباء والموظفين المهرة من أهل الذمة في الدولة العباسية وكان دورهم ملحوظا في رقد الحضارة الإسلامية حينها.

\*بالإضافة إلى تمتع أهل الذمة في الدولة العباسية بالحرية الكاملة في ممارسة شعائهم الدينية وغير الدينية، دون أن يضايقهم أحد شرط أن لا يتعارض ذلك مع تعاليم الدين الإسلامي.

\*فإلى جانب مساهمة أهل الذمة في إثراء ورفد الحضارة الإسلامية من خلال ترجمتهم لمختلف العلوم، إلا أن النتائج السلبية كانت واضحة من خلال إنحلال الدولة وضعفها بإحياء أهل الذمة لتعاليمهم الدينية ومحاولة بثها في المجتمع العباسي.

# قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم.

أولاً: المصادر

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني الجزري (ت 630هـ/1233م): الكامل في التاريخ، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.
- ابن أبي أصيبعة، أبو العباس أحمد بن القاسم الخزرجي الدمشقي (ت 668هـ/1270م): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د:ت.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت 194هـ/809م): صحيح البخاري، كتاب الجزية والموادعة، الباب العاشر، ج 2، دار الكتب العلمية، بيروت، د:ت.
- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي (ت 429هـ/1028م): الفرق بين الفرق، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، د:ت.
- البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس (ت 1046هـ/1636م): كشك القناع على متن الاقناع، ج3، عالم الكتب، بيروت، 1983م.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن يعسد المعروف بإبن حزم الظاهري (ت 456هـ/1063م): الفصل في الملل والاهواء والنحل، ج1، مكتبة السلام العالمية، د:ت.
- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الخضرمي (ت 808هـ/1405م): المقدمة، ج2، ط1، دار البلخي، دمشق، 2004م.
- ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد البرمكي الإربلي (ت 681هـ/1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج 5، ط2، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د:ت.
- الرملي، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد حمزة (ت 1004هـ/1595م): نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، ج8، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.

- السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل ( ت 483هـ / 1090م): شرح كتاب سير الكبير، ج5، تح: حسن محمد أسماعيل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، ( ت 548هـ / 1153م): الملل والنحل، ج1، 3، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.
- ابن العبري، أبو الفرج غريغوريوس بن اهرن الملطي ( ت 685هـ / 1286م): تاريخ مختصر الدول، ط1، دار المعارف، القاهرة، 2001م.
- ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ( ت 751هـ / 1350م): أحكام أهل الذمة، ج1، ط1، رمادي للنشر، السعودية، 1997م.
- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري ' ت 711هـ / 1311م): لسان العرب، ج2، 3، 12، دار صادر، بيروت، د:ت.
- ابن نديم، محمد بن إسحاق ( ت 385هـ / 995م): الفهرست، تح: ناهد عباس عثمان، ط1، دار قطري، قطر، 1985م.
- يقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت ابن عبد الله (ت626هـ/1228م)، معجم البلدان: ج2-ج5، دار صادر، بيروت، 1977م.
- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم الأنصاري ( ت 182هـ / 798م): كتاب الخراج، دار المعرفة، بيروت، 1979م.
- المراجع باللغة العربية:**
- أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج1، 2، 3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م.
- أحمد أمين: فجر الإسلام، ط10، دار الكتاب العربي، بيروت، 1969م.
- أحمد نريمان عبد الكريم: معاملة غير المسلمين في الدولة الإسلامية، الهيئة العامة المصرية، القاهرة، 1996م.

- أرشيد، يوسف: الحضارة الإسلامية ( نظم، علوم، فنون)، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 2004م.
- أيوب، إبراهيم: التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ط1، دار الكتاب العالمي، بيروت، 1989م.
- بيطار، أمينة: تاريخ العصر العباسي، ط4، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 1997م.
- التميمي، جيدر قاسم: بيت الحكمة العباسي ودوره في ظهور مراكز الحكمة في العالم الاسلامي، ط1، دار زهران، الأردن، 2011م.
- آل جعفر: مساعد مسلم عبد الله: أثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984م.
- جمعة، محمد لطفي: تاريخ فلاسفة الاسلام، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2014م.
- حبش، محمد: المسلمون وعلوم الحضارة، ط1، دار المعرفة، دمشق، 1995م.
- حتى، فليب: عرب تاريخ موجز، ب د، ط، دار العلم، بيروت، 1991م.
- حسن، سولاف عطية الله: دور الجوار والقهرمانات في دار الخلافة العباسية، ط1، دار مكتبة عدنان، دمشق 2013م.
- الخربوطلي، علي حسن: الإسلام وأهل الذمة، المجلس الوطني للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1969م.
- الخضري، محمد بك: تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية، المكتبة العصرية، بيروت، 2003م.
- أبو خليل، شوقي: الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، ط1، دار الفكر، دمشق، 1994م.
- خليل، عماد الدين و الربيع، فايز: الوسيط في الحضارة الاسلامية، ط1، دار الحامد، عمان، 2004م.

- الذهبي، إدوار غالي: معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ط1، مكتبة غريب، القاهرة، 1993م.
- رزق، عاصم محمد: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000م.
- رفاعي، أحمد فريد: عصر المأمون، ج1، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1927م.
- زيدان، جرجي: تاريخ التمدن الإسلامي: ج1،3،4، ط1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت د:ت.
- سالم، عبد العزيز: دراسات في تاريخ العرب العصر العباسي الأول، ج3، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1993م.
- سليم، سليم أبو طالب: أثر المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية على الفكر الإسلامي في الدولة العباسية، ط1، مطبعة الإشعاع الفنية، الاسكندرية، 1999م.
- صقر، نادية حسني: مطلع العصر العباسي (الاتجاهات السياسية والحضارية في خلافة المتوكل على الله)، ط1، دار الشروق، السعودية، 1983م.
- ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي العباسي الأول، ط16، دار المعارف، القاهرة، 1966م..
- ضيف الله، محمد الأخضر: محاضرات في تاريخ الحضارة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.
- الطائيش، علي احمد: الفنون الإسلامية المبكرة ( في العصرين الأموي والعباسي)، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، د:ت.
- العبادي، أحمد مختار: في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت، د:ت.

- عدو، بناز اسماعيل: أهل الذمة في بلاد الكرد في العصر العباسي، ط1، مؤسسة موكرياني للبحوث، 2011م.
- علم الدين، مصطفى: الزمن العباسي، دار النهضة العربية، بيروت، 1993م.
- عمر، فاروق: بحوث في التاريخ العباسي، ط1، دار القلم، بيروت، 1977م.
- عودة، محمد عبد الله وآخرون: مختصر التاريخ الإسلامي، دار هومة، عمان، 1989م.
- عيسى، أحمد: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، 1981م.
- الغريب، عبد الباسط بن يوسف: تسامح الإسلام مع غير المسلمين حصر و إستقراء النصوص والأثار المتعلقة بتعامل المسلمين مع غيرهم.
- فرج، هولوجودت: البرامكة سلبياتهم وإيجابياتهم، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1990م.
- فياض، عطية: فقه المعاملات المالية مع أهل الذمة - دراسة فقهية مقارنة-، ط1، دار النشر للجامعات، القاهرة، 1999م.
- الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الحضارة الإسلامية، دار الفكر، القاهرة، 2005م.
- قاسم، عبدة قاسم: أهل الذمة في مصر العصور الوسطى، دار المعارف، القاهرة، 1972م.
- المقدسي، أنيس: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ط17، دار العلم، بيروت، د:ت.
- محمود، حسن أحمد و أحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، ط5، دار الفكر العربي، القاهرة، د:ت.
- المضيان، ماجد بن صالح: دور أهل الذمة في إقصاء الشريعة الإسلامية، ط1، دار الفضيلة، مصر، 2007م.

- الملا، أحمد علي: أثر العلماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، ط1، دار الفكر، دمشق، 1981م.
- الممي، حسن: أهل الذمة في الحضارة الإسلامية، ط1، دار الغزب الإسلامي، بيروت، 1998م.
- المودودي، أبو الأعلى: حقوق أهل الذمة، كتاب المختار، د:ت.
- المدور، جميل نخلة: تاريخ العراق في عصر العباسيين (حضارة الإسلام في دار الإسلام)، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، د:ت.
- المؤنس، حسين: أطلس تاريخ الإسلام، ط1، دار الزهراء، القاهرة، 1987م.
- عبد المنعم، حمدي: الدولة العباسية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2006م.
- الناطور، شحادة وعورات أحمد: الخلافة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجري، ط1، دار الثقافة للطباعة، الأردن، 1990م.
- النبراوي، فتيحة: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، ط14، دار الفكر، القاهرة، 2004.
- ندوي، عبد الحميد مظاهري: الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الأول - دروس الإصلاح الواقع الدعوي، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2005م.
- نعمان، خلف رشيد: شرح الصولي لديوان أبي تمام، ج1، ط1، سلسلة التراث، العراق، د:ت.
- يونس، فتحي علي: أثر العرب والمسلمين في الحضارة الأوروبية، دار الكتب الثقافية للراشدين، القاهرة، 1996م.

المراجع العربية:

- ريسلر، جاك: الحضارة العربية، تر: خليل أحمد خليل، ط1، منشورات عويدات، بيروت، 1993.

- كار، مريم سلامة: الترجمة في العصر العباسي مدرسة حنين بن إسحق وأهميتها في الترجمة، تر: نجيب غزاوي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1998.

- لوبون، غوستاق: حضارة العرب، تر: عادل زعيتير، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2011م.

- ميتر، آدم: الحضارة الإسلامية في القرن الربع الهجري، تر: عبد الهادي أبو ريدة، ج1، 2، دار الكتاب العربي، بيروت، د:ت.

- هونكة، زيغريد: شمس العرب على الغرب ( أثر الحضارة العربية في أوروبا )، تر: فاروق بيضون، وكمال دسوقي، ط8، دار الجيل، بيروت، 1993م.

ج - الرسائل الجامعية

- الألشي، ناريمان صادق: الدولة العباسية في عصر المعتضد بالله، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، 1988م.

-بدير، شاكور محمود: اليهود في الادب العباسي -نماذج مختارة- أطروحة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2014م.

- طبي، سمير: دور أهل الذمة في الدولة الإسلامية في العصر العباسي، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2007م.

- قويدر، بشار: دور أسرة البرامكة في تاريخ الخلافة العباسية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1985-1986م.

د - مجلات

- أبو الرب، هاني: " البرامكة ودورهم في الحياة العامة في الدولة العباسية قبل نكبتهم "،  
مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع30، 2013م.  
- الرحمن، ذكر: <ثقافة الهند>، مجلة علمية ثقافية، مج 65، ع2، 2014م.

هـ - الموسوعات

- الروضان، عبد عون: موسوعة تاريخ العرب - ممالك - دول - حضارة، ج2، ط2، دار  
الاهلية، الأردن، 2007م.  
- الشنواني، أحمد محمد: موسوعة عباقرة الحضارة العلمية في الاسلام، ب د، ط ، مكتبة  
دار الزمان ، 2007م.